١٠١
ثم دخلت سنة إحدى ومائة

ذكر هرب ابن المهلّب

قد ذكرنا حبْس يزيد بن المهلّب، فلم يزل محبوساً حتّى اشتدّ مرض عمر بن عبد العزيز، فعمل في الهرب، فخاف يزيدَ بنَ عبد الملك لأنّه قد عذّب أصهاره آل أبي عَقيل، وكانت أمّ الحجّاج بنت محمّد بن يوسف، وهي ابنة أخي الحجّاج، زوجةَ يزيد بن عبد الملك.

وكان سبب تعذيبهم أنّ سليمان بن عبد الملك لمّا وليَ الخلافة طلب آل أبي عَقيل، فأخذهم وسلّمهم إلى يزيد بن المهلّب ليخلّص أموالهم، فعذّبهم وبعث ابن المهلّب إلى البلقاء من أعمال دمشق، وبها خزائن الحجّاج بن يوسف وعياله، فنقلهم وما معهم إليه، وكان فيمَنْ أُتي به أمّ الحجّاج زوجة يزيد بن عبد الملك، (وقيل: بل أخت لها، فعذّبها، فأتى يزيدُ بن عبد الملك)[١] إلى ابن المهلّب في منزله فشفع فيها، فلم يشفّعه، فقال: الذي قرّرتم عليها أنا أحمله، فلم يقبل منه، فقال لابن المهلّب: أما واللّهِ لئن وليتُ من الأمر شيئاً لأقطعنّ منك عضواً! فقال ابنُ المهلّب: وأنا والله لئن كان ذلك لأرمينّك بمائة ألف سيف. فحمل يزيد بن عبد الملك (وما كان عليها)[٢]، وكان مائة ألف دينار، وقيل أكثر من ذلك.

فلمّا اشتدّ مرض عمر بن عبد العزيز خاف ابنُ المهلّب من يزيد بن عبد الملك، فأرسل إلى مواليه، فأعدّوا له إبلاً وخيلاً، وواعدهم مكاناً يأتيهم فيه، فأرسل إلى عامل حلب مالاً، وإلى الحرس الذين يحفظونه وقال: إنّ أمير المؤمنين قد ثقُل وليس برجاء، وإن وليَ يزيد يَسْفِك دمي. فأخرجوه، فهرب إلى المكان الذي واعد أصحابه فيه، فركب الدَّوابّ وقصد البصرة، وكتب إلى عمر بن عبد العزيز كتاباً يقول: إنّي والله لو وثقتُ بحياتك لم أخرج من محبسك، ولكنّي خفتُ أن يلي يزيد فيقتلني شرّ قتلة. فورد الكتاب

---

(١) ما بين القوسين من (ب).

(٢) في الأوربية: «عنها».

وبه رَمَق، فقال: اللهمّ إن كان يريد بالمسلمين سوءاً فألحِقْهُ به وهِضْه فقد هاضني.

ومرّ يزيد في طريقه بالهُذَيل بن زُفَر بن الحارث، وكان يخافه، فلمْ يشعر الهُذَيل إلاّ وقد دخل يزيد منزله ودعا بلبنٍ فشربه، فاستحيا منه الهُذيل وعرض عليه خيله وغيرها، فلم يأخذ منه شيئاً[1].

وقيل في سبب خَوف ابن المهلّب من يزيد بن عبد الملك ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر وفاة عمر بن عبد العزيز[2]

قيل: توفّي عمر بن عبد العزيز في رجب سنة إحدى ومائة، وكانت شكواه عشرين يوماً[3]، ولمّا مرض قيل له: لو تداويتَ. قال: لو كان دوائي في مسح[4] أذني ما مسحتُها، نِعمَ المذهوب إليه ربّي. وكان موته بدَير سَمعان[5]، وقيل: بخُناصِرة، ودُفن بدير سَمعان. وكانت خلافته سنتَيْن وخمسة أشهر، وكان عمره تسعاً وثلاثين سنة وأشهراً، وقيل: كان عمره أربعين سنة وأشهراً[6]، وكانت كنيته أبا حفص، وكان يقال له: أشجّ بني أميّة، وكان قد رَمَحَتْه دابّة من دوابّ أبيه، فشجّتْه وهو غلام، فدخل على أمّه، فضمّته إليها وعذلت أباه ولامته حيث لم يجعل معه حاضناً، فقال لها عبد العزيز: اسكتي يا أمّ عاصم، فطوباكِ إنْ كان أشجّ بني أميّة[7].

قال مَيمون بن مِهران: قال عمر بن عبد العزيز: لمّا وضعتُ الوليد في حفرته نظرتُ، فإذا وجهه قد اسودّ، فإذا مُتّ ودُفنتُ فاكشفْ عن وجهي؛ ففعلتُ، فرأيته أحسن ممّا كان أيّام تنعمّه.

وقيل: كان ابن عمر يقول: يا ليت شِعْري من هذا الّذي من ولد عمر، في وجهه علامة يملأ الأرض عدلاً[8]؟

---

(١) الطبري ٦/٥٦٤، ٥٦٥، الفتوح لابن أعثم ٧/٣٢١، ٣٢٢، وفيات الأعيان ٦/٣٠٠، ٣٠١، نهاية الأرب ٢١/٣٦٤، ٣٦٥.

(٢) أنظر عن (الخليفة عمر بن عبد العزيز) في: تاريخ الإسلام (١٠١ ـ ١٢٠ هـ). ص ١٨٧ ـ ٢٠٦ رقم ١٩٦ وفيه مصادر ترجمته.

(٣) تاريخ دمشق (نسخة سليمان باشا ٨٣٠) مجلد ١٣ ورقة ١٣١ ب.

(٤) في (ب): «مخ».

(٥) تاريخ دمشق ١٣/ورقة ١٣١ ب، و١٦٣ أ و ١٦٥ أ، الطبري ٦/٥٦٥.

(٦) أنظر الأقوال في عمره، في: تاريخ دمشق ١٣/١٣١ أ، ب، وتاريخ الطبري ٦/٥٦٥.

(٧) تاريخ دمشق ١٣/١٣١ ب، تاريخ الطبري ٦/٥٦٦، طبقات ابن سعد ٥/٣٣١.

(٨) الطبري ٦/٥٦٦، الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/٣٣٠ و ٣٣١، نهاية الأرب ٢١/٣٦٦، تاريخ الإسلام =

وكانت أمّ عمر بن عبد العزيز أمّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطّاب، وهو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحَكَم بن أبي العاص بن أميّة[١]، ورثاه الشعراء فأكثروا، فقال كُثيّر عَزّة:

أقول لمّا أتاني ثَمّ مهلكُه ... لا تبعدنّ[٢] قِوام الحقّ والدّينِ
قد غادروا في ضريح اللّحْد مُنجدِلاً ... بدَيْر سَمعان قِسطاس[٣] الموازينِ[٤]

ورثاه جَرير، والفرزدق، وغيرهما.

ذكر بعض سيرته

قيل: لمّا وليَ الخلافة كتب إلى يزيد بن المهلّب: أمّا بعدُ، فإنّ سليمان كان عبداً من عباد الله، أنعم الله عليه، ثمّ قبضه واستخلفني، ويزيد بن عبد الملك من بعدي إن كان، وإنّ الذي ولاّني الله من ذلك وقدّر لي ليس عليّ بهيّن، ولو كانت رغبتي في اتّخاذ أزواجٍ، أو اعتقاد أموال، لكان في الذي أعطاني من ذلك ما قد بلغ بي، أفضل ما بلغ بأحدٍ من خَلْقه[٥]، وأنا أخاف فيما ابتُليتُ به حساباً شديداً، ومسألة غليظة، إلاّ ما عفا اللّهُ ورحِم، وقد بايع مَن قِبَلَنا فبايعْ مَن قِبَلَك.

فلمّا قرأ الكتاب قيل له: لستَ من عُمّاله، لأنّ كلامه ليس ككلام مَن مضى من أهله. فدعا يزيدُ الناس إلى البيعة، فبايعوا[٦].

قال مُقاتل بن حيّان: كتب عمر إلى عبد الرحمن بن نُعَيْم: أمّا بعد، فاعملْ عَمَلَ مَنْ يعلم أنّ الله لا يُصْلح عمل المفسدين[٧].

قال طُفَيْل بن مِرْداس: كتب عمر إلى سليمان بن أبي السّريّ: أن أعمل خانات، فمَنْ مرّ بك من المسلمين فاقْرُوه يوماً وليلة، وتعهّدوا دوابّهم، ومَنْ كانت به عِلّة فاقْرُوه

= (١٠١ ـ ١٢١ هـ) ١٩١.

(١) تاريخ دمشق ١٣/ورقة ١٣٠ ب.

(٢) في (ب): «لأتبعن».

(٣) في الأوربية: قسطا بن.

(٤) البيتان في تاريخ الطبري ٦/٥٧٢: وفيه إنهما لبعض الشعراء، وهما هكذا:

أقول لما نعى النا عون لي عُمَرا ... لا يبعدنّ قِوامُ العدل والدّين
قد غادر القوم باللحد الذي لحدوا ... بدير سمعان قسطاس الموازين

(٥) في الأوربية: «خلافة».

(٦) الطبري ٦/٥٦٦، ٥٦٧.

(٧) الطبري ٦/٥٦٧.

يومَيْن وليلتَيْن، وإن كان منقطَعاً به، فأبلِغْه بلده. فلمّا أتاه كتاب عمر قال له أهل سَمَرْقَنْد: قُتَيْبة ظَلَمَنا وغدر بنا فأخذ بلادَنا، وقد أظهر الله العدل والإنصاف، فأذَنْ لنا فَلْيَقْدَمْ[1] منّا وَفدٌ على أمير المؤمنين. فأذِن لهم، فوجّهوا وفْداً إلى عمر، فكتب لهم إلى سليمان: إنّ أهل سمرقند شكَوْا ظُلماً وتحاملاً من قُتيبة عليهم، حتّى أخرجهم من أرضهم، فإذا أتاك كتابي فأجلِسْ لهم القاضي فلْيَنْظُرْ في أمرهم، فإن قضى لهم فأخرِجِ العربَ إلى مُعَسْكرهم كما كانوا قبل أن يظهر عليهم قتيبة. قال؛ فأجلس لهم سليمان جُمَيْعَ بَنَ[2] حاضر القاضي، فقضى أن يخرج عرب سَمْرَقند إلى معسكرهم، وينابذوهم[3] على سواء، فيكون صُلْحاً جديداً، أو ظفراً عَنْوةً. فقال أهل الصُّغْد: بلى نرضى بما كانَ ولا نُحْدِث حرباً، وتراضوا بذلك[4].

قال داود بن سليمان الجُعْفيّ: كتب عمر إلى عبد الحَميد: أمّا بعد، فإنّ أهل الكوفة قد أصابهم بلاءٌ وشدّة وجَوْر في أحكام الله، وسنّةُ خبيثة سنّها[5] عليهم عمّال السّوءِ، وإنّ قَوامَ الدّين العدلُ والإحسان، فلا يكونَنَّ شيء أهمّ إليك من نفسك، فإنّه لا قليل من الإثم، ولا تحمل خراباً على عامر[6]، وخُذْ منه ما أطاق وأصلِحْه حتّى يعمر، ولا يؤخذنّ من العامر إلّا وظيفة الخراج في رِفْقٍ وتسكينٍ لأهل الأرض[7]، ولا تأخذنّ أُجورِ الضّرّابين، ولا هديّة النّوروز والمِهرجان، ولا ثمن الصُّحف، ولا أُجور الفيوج[8] ولا أُجور البيوت، ولا درهم[9] النّكاح، ولا خراج على مَنْ أسلم من أهل الأرض، فاتبعْ في ذلك أمري، فإنّي قد ولّيتك من ذلك ما ولّاني الله، ولا تعجّلْ دوني بقَطْعٍ ولا صَلْبٍ حتّى تُراجعَني فيه، وانظرْ مَنْ أراد من الذّرّيّة أن يحجّ، فعجّلْ له مائةً ليَحجّ بها، والسلام[10].

قال عثمان بن عبد الحَميد: حدّثني أبي قال: قالت فاطمة بنت عبد الملك،

---

(١) الطبري ٥٦٧/٦: «فلْيَفِد».

(٢) في الأوربية: «مَن».

(٣) في الأوربية: «وينابذونهم».

(٤) الطبري ٥٦٧/٦، ٥٦٨، نهاية الأرب ٣٧٠/٢١، ٣٧١ وفيه: «وتواصوا بذلك».

(٥) الطبري ٥٦٩/٦: «استنّها».

(٦) زاد الطبري: «ولا عامراً على خراب، أنظر الخراب فخذ».

(٧) عند الطبري زيادة: «ولا تأخذنّ في الخراج إلا وزن سبعة ليس لها آيين».

(٨) في طبعة صادر ٦٦/٥ «الفتوح»، وما أثبتناه عن الطبري ٥٦٩/٦ والفيوج: جمع فيْج، وهو رسول السلطان الذي يسعى بالكتب.

(٩)، الطبري: «دراهم».

(١٠) تاريخ الطبري ٥٦٩/٦، نهاية الأرب ٣٧١/٢١.

رحِمها الله، امرأة عمر: لمّا مرض عمر اشتدّ قلقُه ليلة، فسهرنا معه، فلمّا أصبحنا أمرتُ وصيفاً له يقال له مَرْثِد ليكون عنده، فإن كانت له حاجة كنتُ قريباً منه، ثمّ نمْنا، فلمّا انتفخ النهار استيقظتُ، فتوجّهتُ إليه، فرأيتُ مَرْثِداً خارجاً من البيت نائماً[1]، فقلتُ له: ما أخرجك؟ قال: هو أخرجني، وقال لي: إنّي أرى شيئاً ما هو بإنس ولا جِنّ، فخرجتُ فسمعته يتلو: ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[2]، قالت: فدخلتُ فوجدتُهُ بعدما دخلت قد وجّه نفسه للقِبلة وهو ميت[3].

قال مَسْلمة بن عبد الملك: دخلتُ على عمر أعوده، فإذا عليه قميص وسخ، فقلت لامرأته فاطمة، وكانت أخت مَسْلمة: اغسلوا ثياب أمير المسلمين. فقالت: نفعل. ثمّ عُدتُ فإذا القميص على حاله. فقلت: ألم آمركم أن تغسلوا قميصه؟ فقالت: والله ما له غيره[4]. قيل: وكانت نَفَقَتُهُ كلّ يوم درهمَيْن[5].

قيل: وكان عبد العزيز قد بعث ابنه إلى المدينة ليتأدّب بها، فكتب إلى صالح بن كَيسان أن يتعاهده، فأبطأ عمر يوماً عن الصّلاة، فقال: ما حَبَسَك؟ فقال: كانت مُرجِّلتي تُصْلح شَعْري، فكتب إلى أبيه بذلك، فأرسل أبوه رسولاً، فلم يزل حتّى حلق شعره[6].

وقال محمّد بن عليّ الباقر: إنّ لكلّ قومٍ نجيبة، وإنّ نجيبة بني أميّة عمر بن عبد العزيز، وإنّه يُبعث يوم القيامة أمّةً وحده[7].

وقال مُجاهد: أتينا عمرَ نعلّمه، فلم نبرح حتّى تعلّمنا منه[8].

وقال ميمون: كانت العلماء عند عمر تلامذة[9]. وقيل لعمر: ما كان بدء إنابتك؟

---

(١) في الأوربية: «ناعاً».

(٢) سورة القصص، الآية ٨٣.

(٣) الطبري ٦/٥٧٢، ٥٧٣.

(٤) الطبقات لابن سعد ٥/٤٠٢، المعرفة والتاريخ للفسوي ١/٦٠٠، سيرة عمر لابن عبد الحكم ٤٨، تاريخ دمشق (نسخة سليمان باشا) ١٣/١٥٠ ب، سيرة عمر لابن الجوزي ١٨١، ١٨٢، صفة الصفوة، له ٢/١٢٠، تاريخ الإسلام (١٠١ - ١٢٠ هـ) ص ١٩٩.

(٥) تاريخ الإسلام (١٠١ - ١٢٠ هـ). ص ١٩٩.

(٦) تاريخ دمشق ١٣/١٣٢ ب.

(٧) نهاية الأرب ٢١/٣٧١.

(٨) نهاية الأرب ٢١/٣٧١.

(٩) سيرة عمر لابن الجوزي ٣٥.

قـال: أردتُ ضرْبَ غـلام لي فقال: اذكُـرْ ليلةً صبيحتُها يـوم القيامـة[١]. وقال عمـر: ما كذبتُ منذ علمتُ أنّ الكذبَ يضرّ أهله[٢].

وقال رياح بن عَبِيدة[٣]: خرج عمر بن عبد العـزيز وشيـخ متوكّىء على يـده، فلمّا فرغ ودخلَ قلتُ: أصلح الله الأمير، مَن الشيخ الذي كان متوكّئاً على يدك؟ قال: أرأيتَـهُ؟ قلت: نعم. قـال: ذاك أخي الخضِر، أعلمني أنّي سـألي أمرَ هـذه الأمّة، وأنّي سـأعـدل فيها[٤].

قال: وأتاه أصحاب مراكب الخلافة يطلبون علْفها، فأمر بها فبيعتْ، وجعل أثمانهـا في بيت المـال وقـال: تكفيني بغلتي هـذه[٥]. قـال: ولمّـا رجـع من جنـازة سليمـان بن عبد الملك رآه مولىً له مغتمّاً فسأله، فقال: ليس أحد من أمّة محمّد في شرق الأرض ولا غربها إلاّ وأنا أريد أن أؤدّي إليه حقّه من غير طلب منه[٦]. قـال: ولمّا ولي الخـلافة قـال لامرأته وجواريه: إنّـه قد شُغـل بما في عنقـه عن النساء، وخَيّـرهنّ بين أن يُقمن عنده أو يفارقنه، فبكين واخترن المُقام معه[٧].

قال: ولمّا ولي عمر بن عبد العزيز صعِد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وكانت أوّل خطبة خطبها ثمّ قال: أيّها النـاس مَنْ صحِبَنا فلْيصحَبْنـا بخمسٍ، وإلاّ فلا يقـرُبْنا: يـرفع إلينا حاجـةَ مَنْ لا يستطيـع رفعها، ويعيننـا على الخير بجهـده، ويدلّنـا من الخير على مـا نهتدي إليه، ولا يغتابنّ أحداً، ولا يعتـرض في ما لا يعنيـه. فانقشـع الشُعراء والخُـطباء، وثبت عنـده الفُقهاء والـزُّهّاد وقـالوا: مـا يسعنا أن نفـارق هذا الـرجل حتّى يخـالف قولـه فعله[٨]. قال: فلمّا وليَ الخلافة أحضر قريشاً ووجوهَ الناس فقال لهم: إنّ فَدَك كانت بيد رسول الله ﷺ، فكان يضعها حيث أراه اللّهُ، ثمّ وليَها أبـو بكر كـذلـك وعمـر كذلـك، ثمّ

---

(١) نهاية الأرب ٢١/٣٧٢.

(٢) سيرة عمر لابن الجوزي ٤٦، نهاية الأرب ٢١/٣٧٢.

(٣) في (ب): «عبيد».

(٤) أخرجه الأجُرّي في أخبار عمر بن عبد العزيز وسيرته (مخطوطة الظاهرية ٣٧٦٧)، ورقة ٣ ب، من طريق: هرون بن معروف، عن ضمرة، عن السري بن يحيى، عن رياح بن عبيدة، وفيه: «سأعدل فيه». وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٣/ورقة ١٣٧ أ. وانظر: سيرة عمر لابن عبد الحكم ٣٢، وسيرة عمر لابن الجوزي ٥٤ و ٥٥.

(٥) تاريخ الإسلام (١٠١ ـ ١٢٠ هـ). ص ١٩٤، ١٩٥.

(٦) تاريخ الإسلام ١٩٥.

(٧) أخبار عمر للأجُرّي (مخطوطة الظاهرية) ورقة ٨، سيرة عمر لابن عبد الحكم ١٢٥، طبقات ابن سعد ٥/٣٩٦، ٣٩٧، تاريخ دمشق ١٣/ورقة ١٤٠ أ، سيرة عمر لابن الجوزي ٧٠.

(٨) تاريخ دمشق ١٣/١٤٠ ب.

أقطعها مروان، ثمّ إنّها صارت إليّ، ولم تكن من مالي أعود منها عليَّ، وإنّي أُشهِدُكم أنّي قد رددتُها على ما كانت عليه في عهد رسول الله ﷺ؛ قال: فانقطعت ظهور الناس ويئسوا من الظُّلم[1].

قال: وقال عمر بن عبد العزيز لمولاه مُزاحم: إنّ أهلي أقطعوني ما لم يكن إليّ أن آخذه، ولا لهم أن يُعْطُونيه، وإنّي قد هممتُ بردّه على أربابه. قال: فكيف نصنع بولدك؟ فجرتْ دموعه وقال: أَكِلُهُمْ إلى الله. قال: وجد لولده ما يجد الناس، فخرج مُزاحم حتّى دخل على عبد الملك بن عمر فقال له: إنّ أمير المؤمنين قد عزم على كذا وكذا، وهذا أمر يضرّكم وقد نهيتُهُ عنه. فقال عبد الملك: بئس وزير الخليفة أنت! ثمّ قام فدخل على أبيه وقال له: إنّ مزاحماً أخبرني بكذا وكذا فما رأيك؟ قال: إنّي أريد أن أقوم به العشيّة. قال: عجّلْه، فما يؤمنك أن يحدث لك حَدَثُ أو يحدث بقلبك حدث؟ فرفع عمر يديه وقال: الحمد لله الّذي جعل من ذرّيتي مَنْ يعينني على ديني! ثمّ قام به من ساعته في الناس وردّها[2].

قال: لمّا وليَ عمر الخلافة أخذ من أهله ما بأيديهم وسمّى ذلك مظالم، ففزع بنو أميّة إلى عمّته فاطمة بنت مروان، فأتتْهُ فقالت له: تكلّم أنت يا أمير المؤمنين. فقال: إن الله بعث محمّداً ﷺ، رحمةً ولم يبعثه عذاباً إلى الناس كافّة، ثمّ اختار له ما عنده، وترك للناس نهراً شرْبهم سواء، ثمّ وليَ أبو بكر فترك النهر على حاله، ثمّ وليَ عمر فعمل عملهما، ثمّ لم يزل النهر يستقي منه يزيد، ومروان، وعبد الملك ابنه، والوليد، وسليمان ابنا عبد الملك، حتّى أفضى الأمر إليّ، وقد يبس النهر الأعظم، فلم يروَ أصحابه حتّى يعود إلى ما كان عليه. فقالت: حسبك، قد أردتُ كلامك، (فأمّا إذا كانت مقالتك[3] هذه فلا أذكر شيئاً أبداً. فرجعتْ إليهم فأخبرتْهم كلامه)[4]. وقد قيل: إنّها قالت له: إنّ بني أميّة يقولون كذا وكذا، فلمّا قال لها هذا الكلام قالت له: إنّهم يحذّرونك يوماً من أيّامهم، (فغضب وقال: كلّ يوم أخافه غير يوم القيامة فلا أمِنْتُ[5] شرّه. فرجعتْ إليهم)[6] فأخبرتهم وقالت: أنتم فعلتم هذا بأنفسكم، تزوّجتم بأولاد عمر بن الخطّاب فجاء يشبه جدّه. فسكتوا[7].

---

(١) أنظر: سيرة عمر لابن الجوزي ١٣١.

(٢) سيرة عمر لابن الجوزي ١٢٨، ١٢٩ و ١٣٠.

(٣) في الأوربية: «مقاليد».

(٤) ما بين القوسين من (ر).

(٥) في الأوربية: «آمنني».

(٦) ما بين القوسين من (ر).

(٧) قارن بسيرة عمر لابن الجوزي ١٣٧، ١٣٨، والعقد الفريد ٤/٤٣٥.

قـال: وقال سفيـان الثوريّ: الخلفـاء خمسة: أبـو بكر، وعمـر، وعثمان، وعليّ، وعمر بن عبد العزيز[1]، وما كان سواهم فهم منتزون.

قال: وقال الشافعيّ مثله، قال: وكان يكتب إلى عمّالـه بثلاث، فهي تـدور بينهم: بإحياء سُنّة، أو إطفاء بدعة، أو قسْم في مسكنة، أو ردّ مظلمة[2].

قال: وكانت فاطمة بنت الحسين بن عليّ تُثْني عليه وتقول: لو كان بقي لنا عمر بن عبد العزيز ما احتجنا بعهده إلى أحد. قالت فاطمة امـرأته: دخلتُ عليـه وهو في مُصَـلّاه ودمـوعه تجـري على لحيته فقلت: أحَـدثَ شيء؟ فقـال: إنّي تقلّدتُ أمـر أمّـة محمّـد، فتفكّرتُ في الفقير الجائع، والمريض الضائـع، والغازي، والمـظلوم المقهور، والغـريب الأسير، والشيخ الكبير، وذي العيال الكثير، والمال القليل، وأشباههم في أقطار الأرض، فعلِمتُ أنّ ربّي سيسـألني عنهم يـوم القيـامـة، وأنّ خصمي دونهم محمّـد ﷺ، إلى الله، فخشيتُ أن لا تثبت حُجّتي عند الخصومة، فرحمتُ نفسي فبكيتُ.

قيـل: ولمّـا مـرض ابنه عبـد الملك مـرض مـوتـه، وكـان من أشـدّ أعـوانـه على العدل، دخل عليه عمر فقال له: يـا بُنيّ كيف تجدك؟ قـال: أجدني في الحقّ. قـال: يا بُنيّ أن تكون في ميزاني أحبّ إليّ من أن أكـون في ميزانـك. فقال ابنـه: يا أبتـاه[3] لأن يكون ما تحبّ أحبّ إليّ من أن يكون ما أُحبّ. فمات في مرضه وله سبع عشرة سنة[4].

قيل: وقال عبد الملك لأبيه عمر: يا أمير المؤمنين، ما تقـول لربّـك إذا أتيتَهُ، وقـد تركتَ حقّاً لم تُحيِه، وباطلاً لم تُمِتْه؟ فقال: يا بُنيّ إنّ أباك وأجدادك قد دعُّوا النـاس عن الحقّ، فـانتهت الأمورُ إليّ، وقيـل أقبل شـرّها وأدبـر خيرهـا، ولكن أليس حسناً وجميـلاً ألّا[5] تـطلع الشمس عليّ في يـوم إلا أحييتُ فيـه حقّـاً، وأمَتُّ فيـه بـاطـلاً، حتّى يـأتيني الموت، فأنا على ذلك؟ وقال له أيضـاً: يا أميـر المؤمنين انقذْ لأمـر الله، وإن جاشت بي وبك القدور. فقال: يا بُنيّ إن بادهتُ الناسَ بما تقول أحوجوني إلى السيف، ولا خير في خيرٍ لا يحيا إلّا بالسيف، فكرّر ذلك[6].

قيـل: كتب عمر بن عبـد العزيـز إلى عُمّالـه نسخـة واحـدة: أمّـا بعـدُ، فـإنّ الله،

---

(١) أخبار عمر للآجُرّي، ورقة ٢١، وسيرة عمر لابن الجوزي ٧٣.

(٢) أنظر: سيرة عمر لابن الجوزي ١٠٠.

(٣) في الأوربية: «يا أباه».

(٤) العقد الفريد ٤/٤٣٨.

(٥) في الأوربية: «لا».

(٦) قارن بسيرة عمر لابن الجوزي ٣٠١، ٣٠٢.

عزّ وجلّ، أكرم بالإسلام أهلَه، وشرّفهم وأعزّهم، وضرب الذّلّة والصَّغار على مَنْ خالفهم، وجعلهم خيرَ أُمّة أُخرجتْ للناس، فلا تولِّينّ أمور المسلمين أحداً من أهل ذمّتهم وخراجهم، فتتبسّط[1] عليهم أيديهم وألسنتهم، فتذلّهم بعد أن أعزّهم الله، وتهينهم بعد أن أكرمهم الله تعالى، وتعرّضهم لكيدهم والإستطالة عليهم، ومع هذا فلا يؤمن غشّهم إيّاهم، فإنّ الله، عزّ وجلّ، يقول: ﴿لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾[2]، وَ ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[3]؛ والسلام.

فهذا القدر كافٍ في التنبيه على فضله وعدله.

* * *

(وفي هذه السنة مات: محمّد بن مروان في قول[4]. وأبو صالح[5] ذَكْوان)[6].

ذكر خلافة يزيد بن عبد الملك

وفيها تولّى يزيد بن عبد الملك بن مروان الخلافة، وكنيته أبو خالد، بعهدٍ من أخيه سليمان بعد عمر بن عبد العزيز، ولمّا احتُضر عمر قيل له: اكتبْ إلى يزيد فأوصِهِ بالأمّة، قال: بماذا أوصيه؟ إنّه من بني عبد الملك. ثمّ كتب إليه: أمّا بعدُ فاتّقِ يا يزيد الصرعة بعد الغفلة حين لا تُقال العثرةُ، ولا تقدر على الرجعة، إنّك تترك ما تترك لمَنْ لا يحمدك، وتصير إلى مَنْ لا يعذرك[7]، والسلام.

فلمّا ولِيَ يزيد نزع أبا بكر بن محمّد بن عَمْرو بن حَزْم عن المدينة، واستعمل عبد الرحمن بن الضّحّاك بن قَيس الفِهْريّ عليها، واستقضى عبدُ الرحمن سَلِمةَ بن عبد الله بن الأسد المخزوميّ، وأراد معارضةَ ابن حزم فلم يجد عليه سبيلاً، حتّى شكا عثمان بن حيّان إلى يزيد بن عبد الملك من ابن حزم، وأنّه ضربه حدّين، وطلب منه أن

---

(١) في الأوربية: «فبسط».

(٢) سورة آل عمران، الآية ١١٨.

(٣) سورة المائدة، الآية ٥١.

(٤) أنظر عن (محمد بن مروان) في: تاريخ الإسلام (١٠١ - ١٢٠ هـ). ص ٢٥٤ رقم ٢٢٩ وفيه مصادر ترجمته.

(٥) أنظر عن (أبي صالح ذكوان) في: تاريخ الإسلام (١٠١ - ١٢٠ هـ). ص ٢٩٠، ٢٩١ رقم ٢٨٩ وفيه مصادر ترجمته.

(٦) ما بين القوسين من (ر).

(٧) في الأوربية: «يغدرك».

يُقِيده منه، فكتب يزيد إلى عبد الرحمن بن الضحّاك كتاباً: أمّا بعد فانظرْ فيما ضـرَبَ ابنُ حَزْم بنَ حيّان، فإن كان ضربه في أمرٍ بَيِّنٍ[١] أو أمر يُختلف فيه، فلا تلتفتْ إليه.

فأرسل ابنُ الضحّـاك فأحضر ابنَ حزم، وضربه حدّيْن في مقامٍ واحد، ولم يسأله عن شيء[٢].

وعمد يزيد إلى كلّ ما صنعه عمر بن عبد العـزيز ممّـا لم يوافق هـواه، فردّه، ولم يخف شناعةً عاجلة، ولا إثماً عاجلاً[٣]، فمن ذلك أنّ محمّد بن يـوسف أخا الحجّـاج بن يوسف كان على اليمن، فجعل عليهم خراجاً مجدّداً، فلمّا وليَ عمرُ بن عبد العزيـز كتب إلى عامله يأمـره بالاقتصـار على العشر ونصف العشـر، وترك مـا جدّده محمّـد بن يوسف وقال: لأن يأتيَني[٤] من اليمن حصّة ذُرَة أحبّ إليّ من تقرير هذه الوضيعة، فلمّا وليَ يزيد بعد عمر أمر بردّها وقال لعامله: خذها منهم ولو صاروا حَرَضاً، والسلام.

ذكر مقتل شَوْذب الخارجيّ

قد ذكرنا خروجـه ومراسلتـه عمر بن عبـد العزيـز لمناظـرته، فلمّـا مات عمـر أحبّ عبد الحَميد بن عبد الرحمن بن زَيد بن الخطّاب، وهو الأمير على الكوفة، أن يحظى عند يزيد بن عبد الملك، فكتب إلى محمّد بن جَرير يأمره بمنـاجزة شَـوْذب، واسمه بِسـطام، ولم يرجع رسولا شوذب، ولم يعلم بموت عمر.

فلمّـا رأوا محمّداً يستعـدّ للحرب، أرسـل إليه شَـوْذب: مـا أعجلكم قبـل انقضـاء المدّة! أليس قد تواعدنا إلى أن يرجع الرسولان؟ فأرسل محمّد: إنّه لا يسعنا ترْككم على هذه الحال، فقالت الخوارج: ما فعل هؤلاء هذا إلّا وقد مات الرجل الصالح.

فاقتتلوا فأُصيب من الخـوارج نفر، وقُتـل الكثير من أهـل الكوفـة وانهزمـوا، وجُرح محمّد بن جرير في استه، فدخل الكوفة، وتَبِعهم الخوارج حتّى بلغوا الكوفـة، ثمّ رجعوا إلى مكانهم.

وأقـام شَـوْذب ينتظـر صـاحبَيْه، فقـدما عليـه وأخبراه بمـوت عمـر، ووجّـه يـزيـد مَنْ عنـد تميم بن الحباب في ألفَين قـد أرسلهم[٥]، وأخبرهم أنّ يـزيـد لا يفـارقهم على ما فارقهم عليه عمر، فلعنـوه ولعنوا يـزيد معـه وحاربـوه، فقتلوه وقتلوا أصحابـه، ولجأ[٦]

---

(١) في الأوربية: «أمرَيْن».

(٢) الطبري ٦/٤٧٤ و ٤٧٥، نهاية الأرب ٢١/٣٧٢، ٣٧٣.

(٣) في (أ) ونسخة بودليان: «اجلا»، وكذلك في نهاية الأرب ٢١/٣٧٣.

(٤) في الأوربية: «لئن يأتني».

(٥) في (ب): «اسكنهم»، وفي تاريخ الطبري ٦/٥٧٦: «في ألفين فراسلهم».

(٦) في الأوربية: «ونجا».

بعضهم إلى الكوفة، وبعضهم إلى يزيد. فأرسل إليهم يزيدُ نَجْدة بن الحكَم الأزديّ في جمْعٍ، فقتلوه وهزموا أصحابه، فوجّه إليهم يزيدُ الشحّاجَ[1] بن وَداع في ألفَيْن، فقتلوه وهزموا أصحابه، وقُتل منهم نفرٌ، منهم هُدْبة ابن عَمّ شَوْذب. فقال أيّوب بن خَوَليّ يرثيهم:

تركنا تميماً في الغُبار مُلحَّباً ... تُبَكّي عليه عِرسُهُ وقرائبُهْ

وقد أسلَمَتْ قَيسٌ تميماً ومالكاً ... كما أسلم الشحّاجَ أمسِ أقاربُهْ

وأقبل من حَرّان يحمل رايةً ... يُغالِبُ أمرَ اللّهِ واللّهُ غالبُهْ

فيا هُدبَ للهيجا، ويا هُدبَ للندى، ... ويا هُدبَ للخصمِ الألدّ يحاربُهْ[2]

ويا هُدبَ كم من ملجم قد أجبتَهُ[3] ... وقد أسْلَمَتْهُ للرياح[4] جوالبُهْ[5]

وكان أبو شَيْبان خير مقاتل ... يُرجّى ويَخشَى حَربَه[6] مَنْ يحاربُهْ

ففاز ولاقى اللّهَ في الخير[7] كلّه ... وخَذَّمَهُ[8] بالسيف في اللّه ضاربُهْ

تزوّدَ مِن دنياه دِرعاً ومِغْفَراً ... وعَضْباً حُساماً لم تَخُنْه مَضاربُهْ

وأجردَ محبوكَ السَّراةِ كأنّه ... إذا انقضّ وافي[9] الريشِ حُجْنٌ مخالبُهْ[10]

وأقام الخوارج بمكانهم حتّى دخل مَسْلمةُ بن عبد الملك الكوفةَ، فشكا إليه أهلُ الكوفة مكان شَوْذب وخوّفوه منه، فأرسل إليه مسلمةُ سعيدَ بن عمرو الحَرَشيْ[11]، وكان فارساً، في عشرة آلاف، فأتاه وهو بمكانه، فرأى شَوْذب وأصحابه ما لا قِبَلَ لهم به، فقال لأصحابه: مَنْ كان يريد الشهادة فقد جاءتْهُ، ومَنْ كان يريد الدنيا فقد ذهبتْ. فكسروا أغماد سيوفهم، وحملوا فكشفوا سعيداً وأصحابه مراراً، حتّى خاف سعيد الفضيحة،

---

(١) في طبعة صادر ٥/٦٩ «السّحاج، وهو تحريف.

(٢) في (ر): تحاربه.

(٣) الطبري ٥/٥٧٦ «كم من ملحم قد أجَنْتَه».

(٤) الطبري: «للرماح».

(٥) في نسخة بودليان: «سوالبه».

(٦) الطبري ٦/٥٧٧: «بأسه».

(٧) الطبري: «بالخير».

(٨) في نسخة بودليان: «وحدته».

(٩) في (ر): «وأي».

(١٠) الطبري ٦/٥٧٦، ٥٧٧.

(١١) في (أ): «الجرشي»..

فوبّخ أصحابه وقال: من هذه الشرذمة - لا أبَ لكم - تفِرُّون! يا أهل الشام يوماً كـأيّامكم! فحملوا عليهم فطحنوهم طحناً، وقتلوا بِسطاماً، وهو شَوْذب، وأصحابه[1].

ذكر موت محمّد بن مروان

وفي هذه السنة تـوفّي محمّد بن مـروان بن الحَكَم أخو عبـد الملك، وكان قـد وليَ الجزيرة وأرمينية وأذْرَبَيْجان، وغزا الرومَ وأهلَ أرمينية عـدّة دفعات، وكـان شجاعـاً قويّـاً، وكان عبد الملك يحسده لذلك، فلمّا انتظمت الأمورُ لعبـد الملك أظهر مـا في نفسه لـه، فتجهّز محمّد ليسير إلى أرمينية، فلمّا ودّع عبد الملك سأله عن سبب مسيره، فقال وأنشد:

وإنّـك لا تـرى طـرداً لـحُـرّ كـإلصـاق بـه بعضَ الـهـوانِ
فـلو كنّـا بـمـنـزلـةٍ جـمـيـعـاً جـريتُ[2] وأنت مضـطرب العِنـانِ

فقال له عبد الملك: أقسمتُ عليك لَتُقِيمنّ، فَـوَاللّهِ لا رأيتَ منّي ما تكـره، وصلح لـه، ولمّا أراد الوليد عـزله طلب مَنْ يسـدّ مكـانـه، فلم يقـدم أحـد عليـه إلاّ مَسْلمـة بن عبد الملك[3].

ذكر دخول يزيد بن المهلّب البصرة وخلعه يزيد بن عبد الملك

قيل: وفي هذه السنة هرب يزيد بن المهلّب من حبس عمر بن عبد العزيز، على ما تقدّم، فلمّا مات عمر وبويع يـزيد بن عبـد الملك كتب إلى عبد الحَميـد بن عبد الـرحمن وإلى عديّ بن أرطاة يأمرهما بالتحرّز من يزيد ويعرّفهمـا هَرَبَـه، وأمر عـديّاً أن يـأخذ من بـالبصـرة من آل المهلّب، فـأخـذهم وحبسهم، فيهم: المفضّـل. وحَبيب، ومـروان بنـو المهلّب. وأقبل يزيد حتّى ارتفع على القُطْقُطانـة، وبعث عبد الحميـد جُنداً إليهم، عليهم هشام بن مُساحق العامريّ، عامر بني لؤيّ، فساروا حتّى نزلـوا العُذَيْب. ومـرّ يزيـد قريبـاً منهم فلم يَقْدَموا عليه.

ومضى يزيد نحـو البصرة، وقـد جمع عـديّ بن أرطاة أهـل البصرة وخَنْـدَق عليها، وبعث على خيل البصرة المُغيرة بن عبد الله بن أبي عَقيل الثقفيّ، وجاء يزيد في أصحـابه

---

(١) الطبري ٥٧٥/٦ - ٥٧٧، نهاية الأرب ٢١/ ٣٧٤، ٣٧٥، العيـون والحدائق ٦٤/٣، ٦٥، البـداية والنهـاية ٢١٩/٩.

(٢) في (ب): «جزيت».

(٣) أنـظر عن (محمّد بن مـروان بن الحكم) في: تاريخ الإسلام (١٠١ - ١٢٠ هـ). ص ٢٥٤ رقم ٢٢٩ وفيه مصادر ترجمته.

الـذين معه، فـالتقاه أخـوه محمّد بن المهلّب فيمَنْ اجتمـع إليه من أهله وقـومه ومَـواليه، فبعث عـديّ على كلّ خُمسٍ من أخمـاس البصـرة رجـلاً، فبعث عى الأزد: المغيـرةَ بن عَمْــرو العَتَكيّ، وبعث على تميم: مُحْـرِز بن حُمْــران السَّعــديّ، وعلى خُمْس بكــر: مفـرّج بن شَيبـان بن مـالـك بن مِسمْـع، وعلي عبـد القيس: [مـالـك بن][1] المنــذر بن الجـارود، وعلى أهل العـالية: عبـد الأعلى بن عبد الله بن عـامر؛ وأهـلُ العاليـة قريش، وكِنانة، والأزد، وبَجيلة، وخَثْعَم، وقيس عيلان كلّها، ومُزَيْنة، وأهل العالية والكوفـة يقال لهم رُبْع أهل المدينة.

فـأقبل يـزيد لا يمـرّ بخيـلٍ (من خيلهم، ولا قبيلة من قبـائلهم، إلّا تنحّـوا لـه عن طريقه، وأقبل يزيد حتّى نزل داره)[2]، فاختلف النـاسُ إليه، فأرسـل إلى عديّ: أن ابعثْ إليّ إخوتي، وإنّي أصالحك على البصرة، وأخلّيك وإيّاهـا حتّى آخذ لنفسي من يـزيد مـا أحبّ. فلم يقبل منه، فسـار حُميد بن عبـد الملك بن المهلّب إلى يزيـد بن عبد الملك، فبعث معه يزيد بن عبد الملك خالداً القَسْـريّ، وعَمْرو بن يـزيد الحَكَميّ بـأمان يـزيد بن المهلّب وأهله.

وأخذ يزيـد بن المهلّب يُعْطـي مَنْ أتـاه قِطعَ الـذَّهَب والفضّة، فمـال النـاسُ إليـه، وكان عديّ لا يُعْطي إلّا درهمَيْن درهمَيْن ويقول: لا يحـلّ لي أن أعطيكم من بيت المـال درهماً إلا بأمر يزيـد بن عبد الملك، ولكن تَبلّغـوا بهذه حتّى يـأتي الأمرُ في ذلـك؛ وفي ذلك يقول الفرزدق:

أظُنُّ رجـالَ الـدّرهمَيْن تقـودهم[3] إلى المـوت آجـالٌ[4] لهم ومَصـارعُ

وأكيَسُهم[5] مَنْ قـرّ في قعر بيتـه[6] وأيقن أنّ المـوتَ لا بُـدّ واقـعُ[7]

وخرجتْ بنو عَمرو بن تميم من أصحاب عدِيّ فنزلوا المِرْبد، وبعث إليهم يزيـدُ بن المهلّب مولىً له يقال له دارس، فحمل عليه فهزمهم.

---

(١) ما بين الحاصرتين ليس من الأصل، وهو في تاريخ الطبري ٦/ ٥٨٠، والعيون والحدائق ٣/ ٥٥.

(٢) ما بين القوسين من (ر).

(٣) في تاريخ الطبري ٦/ ٥٨١: «نقودهم».

(٤) في ديوان الفرزدق: «إلى قدر آجالهم».

(٥) في الديوان والطبري: «فأحزمهم».

(٦) في الديوان: «من كان في قعر بيته».

(٧) في الديوان ٥١٦: «وأيقن أن العزم لا بد واقع».
وفي تاريخ الطبري ٦/ ٥٨١: «وأيقن أن الأمر لا شكّ واقع». والبيتان أيضاً في: الفتوح لابن أعثم ٨/ ٤.

وخرج يزيدُ حين اجتمع الناسُ له حتّى نزل جبّانة بني يشكُر، وهي النصف[1] فيما بينه وبين القصر، فلقِيه قيس وتميم وأهل الشام، واقتتلوا هُنيهة[2]، وحمل عليهم أصحاب يزيد فانهزموا، وتبعهم ابنُ المهلّب حتّى دنا من القصر، فخرج إليهم عديّ بنفسه، فقُتل من أصحابه موسى بن الوَجيه الحِمْيريّ، والحارث بن المُصَرّف الأَوْديّ، وكان من فرسان الحَجّاج وأشراف أهل الشام، وانهزم أصحابُ عديّ، وسمع إخوة يزيد، وهم في محبس[3] عديّ، الأصوات تدنو، والنُّشّاب تقع في القصر، وقال لهم عبد الملك: إنّي أرى أنّ يزيد قد ظهر، ولا آمن مَنْ مع عديّ من مُضَر و[أهل] الشام أن يأتونا فيقتلونا قبل أن يصل إلينا يزيد، فأغلقوا الباب وألقوا عليه الرَّحْل[4]. ففعلوا، فلم يلبثوا أن جاءهم عبد الله بن دينار مولى بني عامر[5]، وكان على حَرَس عديّ، فجاء يشتدّ إلى الباب هو وأصحابه، وأخذوا يعالجون البابَ، فلم يُطِيقوا قلْعه، وأعجلهم الناسُ فخلّوا عنهم.

وجاء يزيد بن المهلّب حتّى نزل داراً لسليمان[6] بن زياد بن أبيه، إلى جنْب القصر، وأتى بالسلاليم وفتح القصر، وأتي بعديّ بن أرطاة، فحبسه وقال له: لولا حبْسك إخْوتي لما حبستُك[7].

فلمّا ظهر يزيد هرب رؤوس أهل البصرة من تميم، وقيس، ومالك بن المنذر، فلحِقوا بالكوفة، ولحِق بعضهم بالشام[8]، وخرج المغيرة بن زياد (بن عَمْرو العَتَكيّ نحو الشام، فلقي خالداً القَسْريّ، وعمْرو بن يزيد الحَكَميّ، وسعهما حُمَيْد بن)[9] عبد الملك بن المهلّب قد أقبلوا بأمان يزيد بن المهلّب، وكلّ شيء أراده، فسألاه عن الخبر، فخلا بهما سرّاً من حُمَيْد، وأخبرهما وقال: أين تريدان؟ فأخبراه بأمان يزيد. فقال: إنّ يزيد قد ظهر على البصرة، وقتل القتلى، وحبس عدِيّاً فارجعا. فرجعا وأخذا حُميداً معهما، فقال لهما حُميد: أنشدكما الله أن تخالفا ما بُعثتما به، فإنّ ابن المهلّب

---

(١) الطبري: «وهي المنصف».

(٢) في الأوربية: «هنيئة».

(٣) في الأوربية: «مجلس».

(٤) في الأوربية: «عليها الرجل».

(٥) الطبري ٦/٥٨٢: «مولى ابن عمر».

(٦) الطبري ٦/٥٨٢: «دار سلْم».

(٧) الطبري ٦/٥٧٨ ـ ٥٨٢.

(٨) الطبري ٦/٥٨٣.

(٩) ما بين القوسين من (ر).

قابلٌ منكما، وإنّ هذا وأهل بيته لم يزالوا لنا أعداء، فلا تسمعا مقالته. فلم يقبلا قوله ورجعا به[١].

وأخذ عبدُ الحميد بن عبد الرحمن بالكوفة خالدَ بن يزيد بن المهلّب، وحمالَ بن زَحْر، ولم يكونا في شيء من الأمر، فأوثقهما وسيّرهما إلى الشام، فحبسهما يزيد بن عبد الملك، فلم يفارقا السجنَ حتّى هلكا فيه، وأرسل يزيد بن عبد الملك إلى الكوفة شيئاً على أهلها ويمنّيهم الزيادة[٢]. وجهّز أخاه مَسْلمة بن عبد الملك وابن أخيه العبّاس بن الوليد بن عبد الملك في سبعين ألف مقاتل من أهل الشام والجزيرة، وقيل: كانوا ثمانين ألفاً[٣]، فساروا إلى العراق. وكان مَسْلمة يعيب[٤] العبّاس ويذمّه، فوقع بينهما اختلاف؛ فكتب إليه العبّاسُ:

ألا نفسي[٥] فداك[٦] أبا سعيد ... وتقصر عن مُلاحاتي وعَذْلي

فلولا أنّ أصلَك حين يُنمى ... وفرعَك مُنْتَهَى فرعي وأصلي

وأنّي إن رميتُك هُضْتُ[٧] عظمي ... ونالَتْني إذا نالَتْك نَبلي

لقد أنكرتَني إنكارَ خوفٍ ... يقصّر منكَ عَنْ شتمي وأكلي

كقول المرء عمرو[٨] في القوافي ... أريد حياته ويريد قتلي

قيل: إنّ هذه الأبيات للعبّاس، وقيل: إنّما تمثّل بها.

فبلغ ذلك يزيد بنَ عبد الملك، فأرسل إليهما وأصلح بينهما، وقدِما الكوفة ونزلا بالنُّخَيْلة، فقال مَسلمة: ليت هذا المزوني[٩]، يعني ابنَ المهلّب، لا كلّفنا اتباعه في هذا البرد. فقال حيان النَّبطيّ مولى لشيبان: أنا أضمن لك أنّه لا يبرَهُ الأَرْصَة، يريد أضمن أنّه لا يبرح العرصة. فقال له العبّاس: لا أُمّ لك أنت بالنَّبَطيّة أبصر منك بهذا! فقال حيّان: أنبط الله وجهك أسقر أهمر ليس إليه طابىء الخلافة، يريد: أشقر أحمر ليس عليه طابع

---

(١) الطبري ٦/٥٨٤.

(٢) الطبري ٦/٥٨٥، العيوان والحدائق ٣/٦٧.

(٣) العيون والحدائق ٣/٦٨.

(٤) في الأوربية: «يعتب».

(٥) في نسخة بودليان: «تفنى».

(٦) في الأوربية: «حياك».

(٧) في (ر): «عفت».

(٨) في (ب): «يقول المرء غُمرا».

(٩) في (ب): «المزد نمى»، وفي (ر): «المراد بغى»، وفي نسخة بودليان: «المرء بغى»، والمثبت يتفق مع: العيون والحدائق ٣٠/٦٨.

الخلافة. قال مَسْلمة: يـا أبا سفيـان لا يهولنّـك كلام العبّـاس. فقال: إنّـه أهمق، يريـد أحمق[1].

ولمّا سمع أصحاب بن المهلّب وصول مَسْلمـة وأهل الشـام راعهم ذلك، فبلغ ابنَ المهلّب، فخطب الناس وقال: قد رأيتُ أهل العسكر وخوفهم، يقولون: جاء أهـل الشام ومَسْلمة، وما أهل الشام؟ هل هم إلّا تسعة أسيـاف، سبعة منهـا إليّ، وسيفان عليّ؟ ومـا مَسْلمـة إلّا جرادة صفـراء، أتاكم في بـرابـرة، وجـرامقـة، وجـراجمـة، وأنبـاط، وأبنـاء فلّاحين، وأوباش، وأخلاط، أوَليسوا بشـراً يألمـون كما تـألمون، وتـرجون من الله مـا لا يرجون؟ أعيروني سواعدكم تصفّقون بها وجوههم وقد ولّوا الأدبار[2]. واستوسقـوا[3] أهل البصرة ليزيد بن المهلّب، وبعث عُمّاله على الأهواز وفارس وكِرمان، وبعث إلى خُراسـان مُدْرك بن المهلّب، وعليها عبد الرحمن بن نُعَيم، فقال لأهلها: هذا مُدْرك قد أتاكم ليُلْقي بينكم الحرب، وأنتم في بلاد عافية وطاعة، فسار بنو تميم ليمنعوه، وبلغ الأزد بخُراسـان ذلك، فخرج منهم نحـو ألفَيْ فارس، فلقـوا مدركـاً على رأس المفازة، فقـالوا لـه: إنّك أحبّ الناس إلينا، وقد خرج أخوك، فإنْ يظهر فإنّما ذلـك لنا، ونحن أسـرع الناس إليكم وأحقّه بذلك، وإنّ تكن الأخرى، فما لك في أن تغشينا البلاء راحة[4]. فانصـرف عنهم، فلمّا استجمع أهل البصرة ليزيد خَطَبَهم، وأخبرهم أنّه يدعوهم إلى كتاب الله وسنّـة نبيّه، ويحثّهم على الجهاد، ويزعم أنّ جهاد أهل الشام أعظم ثواباً من جهاد التُّرْك والدَّيْلَم.

وكان الحسن البصريّ يسمع، فرفـع صوتـه يقول: والله لقـد رأيناك واليـاً ومَولًى[5] عليـك، فما ينبغي لـك ذلك. ووثب أصحـابه فـأخذوا بفمـه وأجلسـوه، ثمّ خـرجـوا من المسجد وعلى باب المسجد النَّضر بن أَنَس بن مالك يقول: يا عباد الله ما تنقمـون من أن تجيبـوا إلى كتاب الله وسُنّـة نبيّه، فـواللّهِ ما رأينـا ذلك [ولا رأيتمـوه] (منذ وُلـدتم إلّا هذه الأيّام)[6] [من إمارة] عمر بن عبد العزيز. فقال الحسن: والنَّضر أيضاً قد شهد.

ومرّ الحسن بالناس وقد نصبوا الرايات، وهم ينتظرون خروج يزيـد، وهم يقولـون: تـدعـونـا إلى سنّـة العُمَـرَيْن. فقـال الحسن: كـان يـزيـد بـالأمس يضـرب أعنـاق هؤلاء الّذين ترون، ثمّ يرسلها إلى بني مروان يريد رضاهم. فلمّا غضب نصب قصباً، ثمّ وضع عليهـا خِرَقـاً، ثمّ قال: إني قـد خـالفتهم فخـالفـوهم. قـال هؤلاء: نعم، ثمّ قـال: إنّي

---

(١) العيون والحدائق ٣/٦٨، ٦٩ وفيه: «حسّان»، وورد بالحاشية «حيّان».

(٢) العيون والحدائق ٣/٧٠.

(٣) في (ر): «واستوثقوا». واستوسقوا: اجتمعوا.

(٤) في الأوربية: «زاجة».

(٥) في الأوربية: «وموالياً».

(٦) في الأوربية: «مذ ولّوا علينا الأيّام».

أعـدوهم إلى سنّة العُمَـرَيْن. وإنّ من سنّة العمـرَيْن أن يوضـع في رِجْله قيـد؛ ثمّ رُدّ إلى محبسه. فقال ناس من أصحابه: لكأنّك راضٍ عن أهل الشام؟ فقال: أنا راضٍ عن أهل الشـام؟ قبّحهم الله وبـرّحهم! أليس هم الـذينَ أحلّوا حَـرَم رســول الله ﷺ، يقتلون أهله ثلاثاً؟ قد أباحـوها[1] لأنبـاطهم وأقباطهم، يحملون الحـرائر ذوات الـدِّين، لا ينتهون عن انتهاك حُرْمة، ثمّ خرجـوا إلى مال بيت الله الحـرام، فهدمـوا الكعبة، وأوقـدوا النّيران بين أحجارها وأستارها، عليهم لعنة الله وسوء الدّار.

ثمّ إنّ يـزيد سـار من البصرة، واستعمـل عليهـا[2] أخـاه مـروان بن المهلّب، وأتى واسطاً، وكان قد استشار أصحابه حينٍ توجّه نحو واسط، فقال له أخوه حَبيب وغيره: نرى أن نخرج وننزل بفـارس، فنأخـذ بالشعـاب والعِقاب، ونـدنو من خُـراسان، ونُـطاول أهل الشـام، فإنّ أهـل الجبال يـأتون إليـك، وفي يدك القِـلاع والحصون. فقـال: ليس هـذا بـرأيي، تريـدون أن تجعلوني طائـراً على رأس جبل. فقـال حَبيب: إنّ الرأي الـذي كان ينبغي أن يكون أوّل الأمر قد فات، قـد أمرتُـك حيث ظهرتَ على البصـرة أن توجّـه خيلاً عليهـا بعضُ أهلك إلـى الكوفـة، وإنّما بهـا[3] عبد الحميـد، مررتَ بـه في سبعين رجلاً فعجز عنك، فهو عن خَيلك أعجز، فسبق[4] إليها أهل الشام، وأكثر أهلهـا يرون رأيـك، ولأن تَليَ عليهم أحبّ إليهم من أن يلي عليهم أهلُ الشام. (فلم تُـطِعْني، وأنا أشيـر الآن برأي، سرّحْ مع بعض أهلك خيلاً كثيـرة من خيلك، فتأتي الجـزيرة وتبـادر[5] إليها حتّى ينزلوا[6] حصناً من حصونهم، وتسير في أثرهم، فإذا أقبل أهـل الشام)[7] يـريدونـك، لم يَـدَعوا جُنـدك بالجـزيرة يقبلون إليـك، فيقيمون عليهم، فيحبسـونهم عنك حتّى تـأتيهم، ويأتيك مَنْ بالموصل من قومـك، وينفضّ إليك أهـلُ العراق وأهـل الثغور، وتقـاتلهم في أرضٍ رخيصـة[8] السعـر، وقـد جعلتَ العـراق كلّه وراء ظهـرك. قـال: أكـره أن أقـطع جيشي. فلمّا نزل واسطاً أقام بها أيّاماً يسيرة[9]، وخرجت السنة.

---

(١) الطبري ٦/٥٨٨: «يقتلون أهله ثلاثة أيام وثلاث ليلٍ، قد أباحوهم».
(٢) في الأوربية: «عليه».
(٣) الطبري ٦/٥٨٨: «فإنما هو».
(٤) الطبري: «فنسبق».
(٥) في الأوربية: «وساروا».
(٦) في الأوربية: «نزلوا».
(٧) ما بين القوسين من (ر).
(٨) الطبري: «رفيغة».
(٩) الطبري ٦/٥٨٥ - ٥٨٩، وانـظر: الفتوح لابن أعثم ٨/٨ - ١٤، ونهـاية الأرب ٢١/٣٨٤ - ٣٨٧، والبـداية والنهاية ٩/٢١٩، ٢٢٠.

ذكر عدّةِ حوادث

حجّ بالناس عبد الرحمن بن الضحّاك بن قيس[1]، وكان عامل المدينـة.

وكان على مكّة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد، وكان على الكوفة عبد الحميد، وعلى قضائها الشّعْبيّ، وكانت البصرة قد غلب عليها ابن المهلّب. وكان على خُراسان عبد الرحمن بن نُعَيْم[2].

وفيها عُزل إسماعيل بن عُبيد الله عن إفريقية، واستُعمـل مكانـه يزيـد بن أبي مسلم كاتب الحجّاج، فبقي عليها إلى أن قُتل[3] على ما نذكره إن شاء الله تعـالى.

[الوَفَيَات]

وفيها توفّي مُجاهد بن جبر[4]، وقيل: سنة ثلاث، وقيل: سنة أربـع، وقيل: سبْـعٍ ومائة، وله ثلاث وثمانون سنة.

وفيها توفّي عمّار بن جَبر[5].

وقيل: وفيها توفيّ أبو صالح ذَكْوان[6].

وفيها توفّي عامر بن أُكَيْمَة[7] اللّيْثيّ.

وأبو صالح السّمّان[8]، وقيـل له الـزيّات أيضاً لأنّه كان يبيعهما.

وأبو عَمْرو سعيد بن إياس الشيبانيّ[9]، وكان عُمره سبعاً وعشرين ومائة سنة، وليست له صُحْبة.

وفي خلافة عمر توفّي عَبِيدة بن أبي لُبابة أبو القاسم العامري[10].

---

(١) تاريخ خليفة ٣٢٥، المحبّر ٢٨، تاريخ اليعقوبي ٢/٣١٤، تاريخ الطبري ٦/٥٨٩، تاريخ العظيمي ٢٠١، نهاية الأرب ٢١/٣٩١، البداية والنهاية ٩/٢٢٠، النجوم الزاهرة ١/٢٤٦.
وفي مروج الذهب ٤/٣٩٩ حج بالناس عبد العزيز بن عبد الله أمير مكة.

(٢) نهاية الأرب ٢١/٣٩١، البداية والنهاية ٩/٢٢٠.

(٣) الحلّة السيراء ٢/٣٣٥ و ٣٣٦.

(٤) انظر عن (مجاهد بن جبر) في: تاريخ الإسلام (١٠١ ـ ١٢٠ هـ). ص ٢٣٥ ـ ٢٣٨ رقم ٢٢١ وفيه مصادر ترجمته.

(٥) لم أقف على هذا الإسم في المصادر المتوفّرة لديّ، وأظنّ أنه غلط.

(٦) انظر عن (أبي صالح ذكوان) في: تاريخ الإسلام (١٠١ ـ ١٢٠ هـ). ص ٢٩٠، ٢٩١ رقم ٢٨٩، وفيه مصادر ترجمته.

(٧) في طبعة صادر ٥/٧٨: «أكثمة» والتصحيح من: تاريخ الإسلام (١٠١ ـ ١٢٠ هـ). ص ١٨٢ رقم ١٩١ وفيه مصادر ترجمته. ويقال في اسمه: عمارة، وعمّار، وعامر.

(٨) هو أبو صالح ذكوان الذي تقدّم.

(٩) لم أجده في المصادر المتوفرة.

(١٠) لم أجده في المصادر المتوفرة.

١٠٢
ثم دخلت سنة اثنتين ومائة

ذكر مقتل يزيد بن المهلّب

ثمّ إنّ يزيد بن المهلّب سار عن واسط، واستخلف عليها ابنه معاوية وجعل عنده بيت المال والأَسَراء، وسار على فم النيل حتّى نزل العَقْر، وقدّم أخاه عبد الملك بن المهلّب نحو الكوفة، فاستقبله العبّاس بن الوليد بسُورا، فاقتتلوا، فحمل عليهم أصحاب عبد الملك حملة كشفوهم فيها؛ ومعهم ناس من تميم وقيس من أهل البصرة، فنادوا: يا أهل الشام! اللَّهَ اللَّهَ أن تُسْلِمونا! وقد اضطرّهم أصحاب عبد الملك إلى النهر. فقال أهل الشام: لا بأس عليكم، إنّ لنا جولة في أوّل القتال؛ ثمّ كرّوا عليهم، فانكشف أصحاب عبد الملك، فانهزموا وعادوا إلى يزيد.

وأقبل مَسْلمة يسير على شاطىء الفرات إلى الأنبار، وعقد عليها الجسر، فعبر وسار حتّى نزل على ابن المهلّب، وأتى إلى ابن المهلّب ناس من أهل الكوفة كثير، ومن الثغور، فبعث على مَنْ خرج إليه من أهل الكوفة ورُبْعِ أهل المدينة عبدَ الله بن سفيان بن يزيد بن المُغَفّل الأزديّ، وعلى رُبْع مَذْحج وأسد النعمان بن إبراهيم بن الأشتر، وعلى كِنْدة وربيعة محمّد بن إسحاق بن الأشْعث، وعلى تميم وهَمْدان حنظلة بن عَتّاب بن ورقاء التميميّ، وجمعهم جميعاً [مع] المُفَضّل بن المهلّب، وأحصى ديوان ابن المهلّب مائة ألف وعشرين ألفاً، فقال: لَوَدِدْتُ أنّ لي بهم مَنْ بخُراسان من قومي: ثمّ قام في أصحابه فحرّضهم على القتال.

وكان عبد الحميد بن عبد الرحمن قد عسكر بالنُّخَيْلة، وشقّ المياه، وجعل على أهل الكوفة الأرصادَ لئلاّ يخرجوا إلى ابن المهلّب، وبعث بعثاً إلى مَسْلمة مع سَبْرة بن عبد الرحمن بن مخنْف، وبعث مسلمة فعزل عبد الحميد عن الكوفة، واستعمل عليها محمّد بن عَمْرو بن الوليد بن عُقبْة، وهو ذو الشامة.

فجمع يزيد رؤوس أصحابه فقال: قد رأيتُ أن أجمع اثني عشر ألفاً، فأبعثهم مع

أخي محمّد بن المهلّب حتّى يبيّتوا مسلمة، ويحملوا[1] معهم البراذع والأكف والزُّبُل لدفن خندقهم، فيقاتلهم على خندقهم بقيّة ليلته، وأُمِدّه بالرجال حتّى أُصبح، فإذا أصبحتُ نهضتُ إليهم في الناس فأناجزهم، فإنّي أرجو عند ذلك أن ينصرنا[2] الله عليهم، فقال السَّمَيْدع: إنّا قد دعوناهم إلى كتاب الله وسُنّة نبيّه ﷺ، وقد زعموا أنّهم قبلوا هذا منّا، فليس لنا أن نمكر ولا نغدر حتّى يردّوا علينا [ما زعموا أنّهم قَابِلوه منّا]. وقال أبو رُؤبة، وهو رأس الطّائفة المُرْجِئة، ومعه أصحاب له: صدق، هكذا ينبغي.

فقال يزيد: ويْحكم! أَتُصَدِّقون بني أميّة أنّهم يعملون بالكتاب والسُّنة، وقد ضيّعوا ذلك منذ كانوا؟ إنّهم يخادعونكم ليمكروا بكم فلا يسبقوكم إليه، إنّي لقيتُ بني مروان، فما لقيتُ منهم أمكر ولا (أبعد غدراً)[3] من هذه الجرادة الصفراء، يعني مَسْلمة. قالوا: لا نفعل ذلك حتّى يردّوا علينا ما زعموا أنّهم قابِلوه منّا.

وكان مروان بن المهلّب بالبصرة يحثّ الناس على حرب أهل الشام، والحسن البصريّ يثبّطهم، فلمّا بلغ ذلك مروانَ، قام في الناس يأمرهم بالجِدّ والإحتشاد، ثمّ قال: بلغني أنّ هذا الشيخ الضّالّ المُرائي، ولم يسمّه، يثبّط الناس، واللّه لو أنّ جاره نزع من خُصّ داره قَصَبةً لَظَلّ يرعف أنفُه! وايْمُ اللّهِ ليكُفَّنَّ عن ذِكرنا وعن جمعه إليه[4] سُقّاط الأُبُلّة وعلوج فرات البصرة، أو لأنحينّ عليه مِبرداً[5] خشناً.

فلمّا بلغ ذلك الحسن قال: والله [ما أكره] أن يكرمني الله بهوانه. فقال ناس من أصحابه: لو أرادك ثم شئتَ لمنعناك.. فقال لهم: فقد خالفتكم إذاً إلى[6] ما نهيتُكم عنه، آمركم أن لا يقتل بعضكم بعضاً مع غيري، وآمركم أن يقتل بعضكم بعضاً دوني! فبلغ ذلك مروان، فاشتدّ عليهم وطلبهم وتفرّقوا، وكَفّ عن الحسن.

وكان اجتماع يزيد بن المهلّب ومَسْلمة بن عبد الملك بن مروان ثمانية أيّام، فلمّا كان يوم الجُمْعَة لأربع عشرة مضت من صفر بعث مَسْلمة إلى الوضّاح أن يخرج بالسفن حتّى يحرق الجسر، ففعل، وخرج مَسلْمة، فعبّأ جنود أهل الشام، ثمّ قرب من ابن المهلّب وجعل على ميمنته جَبَلَة بن مَخْرَمة الكِنْديّ، وعلى ميسرته الهُذَيْل بن زُفَر بن الحارث الكلابيّ، وجعل العبّاس بن الوليد على ميمنته سيف بن هانىء الهَمْدانيّ، وعلى

(١) في الأوربية: «ويحمل».
(٢) في الأوربية: «ينصر».
(٣) في (ر): «أغدر».
(٤) في (ب): «إلينا».
(٥) في الأوربية: مِرْبداً.
(٦) في الأوربية: أذاك.

ميسرته سُوَيْد بن القعقاع التميميّ، وكان مَسْلمة على الناس.

وخرج يزيد بن المهلّب وقد جعل على ميمنته حَبيب بن المهلّب، وعلى ميسرته المفضّل بن المهلّب. فخرج رجلٌ من أهل الشام فدعا إلى المبارزة، فبرز إليه محمّد بن المهلّب، فضربه محمّد، فاتّقاه الرجلُ بيده وعلى كفّه كفّ من حديد، فضربه محمّد فقطع الكفّ الحديد، وأسرع السيفُ في كفّه واعتنق فرسه فانهزم.

فلمّا دنا الوضّاح من الجسر ألهب فيه النار، فسطع دخانه، وقد أقبل الناس، ونشبت الحرب، ولم يشتدّ القتال، فلمّا رأى الناس الدُّخان، وقيل لهم أُحْرق الجسر، انهزموا، فقيل ليزيد: قد انهزم الناس. فقال: ممّ انهزموا؟ هل كان قتال يُنهزم من مثله؟ فقيل له: قالوا أُحْرق الجسر فلم يثبت أحد. فقال: قبّحهم الله! بَقٌّ دُخِّن عليه فطار! ثمّ خرج معه أصحابه فقال: اضربوا وجوه المنهزمين، ففعلوا ذلك بهم حتّى كثروا عليه، واستقبله أمثال الجبال، فقال: دَعوهم فواللّهِ إنّي لأرجو أن لا يجمعني وإيّاهم مكان أبداً، دَعوهم يرحمهم الله، غَنَمٌ عدا في نواحيها الذّئب!.

وكان يزيد لا يحدّث نفسه بالفِرار، وكان قد أتاه يزيد بن الحَكَم بن أبي العاص الثقفيّ، وهو ابن أخي عثمان بن أبي العاص صاحب رسول الله ﷺ، ليس بينه وبين الحَكَم بن أبي العاص والد مروان نسبٌ، وهو بواسط، فقال له: إنّ بني مروان قد باد مُلْكهم، فإنْ كنتَ لم تشعر بذلك فاشعر. فقال: ما شعرتُ: فقال ابن الحكم:

فعِشْ ملكاً أو مُتْ كريماً، فإنْ تَمُتْ وسيفك مشهورٌ بكفّك تُعْذَرِ

فقال: أمّا هذا فعسى. فلمّا رأى يزيد انهزام أصحابه قال: يا سَمَيْدع أرأيي أَجْوَد أم رأيك؟ ألم أُعْلِمك ما يريد القوم؟ قال: بلى، فنزل سَمَيْدع ونزل يزيد في أصحابهما. وقيل: كان على فرسٍ أشهب، فأتاه آتٍ فقال: إنّ أخاك حبيباً قد قُتل. فقال: لا خيرَ في العيش بَعدَه، قد كنتُ واللّه أبغض الحياة بعد الهزيمة، وقد ازددتُ لها بُغْضاً، امضوا قُدُماً. فعلموا أنّه قد استقتل، فتسلّل عنه مَنْ يكره القتال، وبقي معه جماعة حسنة[1] وهو يتقدّم، فكلّما مرّ بخيلٍ كشفها، أو جماعة من أهل الشام عدلوا عنه، وأقبل نحو مَسْلَمة لا يريد غيره. فلمّا دنا منه أدنى مَسْلَمةُ فرسه ليركب، فعطف عليه خيول أهل الشام وعلى أصحابه، فقُتل يزيد والسَّمَيْدَع ومحمّد بن المهلّب.

وكان رجل من كلب يقال له القَحْل[2] بن عيّاش، فلمّا نظر إلى يزيد قال: هذا والله

---

(١) في الأوربية: «جنسه».

(٢) في (ب): «الفحل».

يزيد! والله لأقتلنّه أو ليقتلنّي! فمَنْ يحمل معي يكفيني أصحابه، حتّى أصل إليه؟ فحمل معه ناسٌ، فاقتتلوا ساعة، وانفرج الفريقان عن يزيد قتيلاً، وعن القَحْل بآخر رَمَقه، فأومأ إلى أصحابه يُريهم مكان يزيد، وأنّه هو قاتله وأنّ يزيد قتله.

وأتى برأس يزيد مولى لبني مُرّة، فقيل له: أنت قتلتَهُ؟ قال: لا، فلمّا أتى مَسْلَمَةَ سيّره إلى يزيد بن عبد الملك مع خالد بن الوليد بن عُقْبَة بن أبي مُعَيْط. وقيل: بل قتله الهُذَيْل بن زُفَر بن الحارث الكلابيّ، ولم ينزل يأخذ رأسه أنفةً.

ولمّا قُتل يزيد كان المفضّل بن المهلّب يقاتل أهل الشام، وما يدري بقتل يزيد ولا بهزيمة الناس، وكان كلّما حمل على الناس انكشفوا، ثمّ يحمل حتّى يخالطهم، وكان معه عامر بن العُمَيْثل الأزديّ يضرب بسيفه ويقول:

قد علِمَتْ أمُّ[1] الصَّبيّ المولودْ أنّي بنَصْلِ السَّيف غيرُ رِعْدِيدْ

فاقتتلوا ساعةً، فانهزمت ربيعة، فاستقبلهم المفضّل يناديهم: يا معشر ربيعة الكَرَّةَ الكَرَّةَ! واللّهِ ما كنتم بكُشف ولا لِئام، ولا لكم هذه بعادة، فلا يُؤْتَيَنّ أهل العراق من قِبَلكم، فَدَتْكُم نفسي! فرجعوا إليه يريدون الحملة، فأُتي وقيل له: ما تصنع ها هنا وقد قُتل يزيد وحَبيب ومحمّد، وانهزم الناس منذ طويل؟ فتفرّق الناسُ عنه، ومضى المفضّل إلى واسط، فما كان من العرب أضرب بسيفه، ولا أحسن تعبية للحرب، ولا أغشى[2] للناس منه. وقيل: بل أتاه أخوه عبد الملك، وكره أن يُخْبره بقتل يزيد فيستقتل، فقال له: إنّ الأمير قد انحدر إلى واسط. فانحدر المفضّلُ بمَنْ بقي من ولد المهلّب إلى واسط، فلمّا علم بقتل يزيد حلف أنّه لا يكلّم عبد الملك أبداً، فما كلّمه حتّى قُتل بقندابيل. وكانت عينه أُصيبت في الحرب، فقال: فضحني عبد الملك، ما عُذري إذا رآني الناس، فقالوا[3] شيخ أعور مهزوم! ألا صدقني فقُتِلتُ؟ ثمّ قال:

ولا خيرَ في طعْن الصَّناديد بالقنا ولا في لقاء الحرب بعد يزيدِ[4]

فلمّا فارق المفضّل المعركة، جاء عسكر الشام إلى عسكر يزيد، فقاتلهم أبو رُؤبة صاحب المُرجئة ساعةً من النهار، وأسر مَسْلمة نحو ثلاثمائة أسير، فسرّحهم إلى الكوفة، فحُبسوا بها، فجاء كتاب يزيد بن عبد الملك إلى محمّد بن عَمْرو بن الوليد يأمره بضرب

---

(١) في الأوربية: «أمر».
(٢) في الأوربية: «أعشى».
(٣) في الأوربية: «فقال».
(٤) البيت في: العيون والحدائق ٣/٧٣.

رقاب الأسرى، فأمر العُرْيانَ بن الهَيْثَمِ، وكان على شُرطته، أن يُخْرجهم عشرين عشرين وثلاثين ثلاثين، فقام نحو ثلاثين رجلاً من تميم فقالوا: نحن انهزمنا بالناس، فابدأوا بنا قبل الناس. فأخرجهم العُرْيان فضرب رقابهم وهم يقولون: انهزمنا بالناس فكان هذا جزاءَنا، فلمّا فرغوا منهم جاء رسولٌ بكتابٍ من عند مُسْلَمة يأمره بترْك قتْل الأسرى. وأقبل مَسْلَمة حتّى نزل الحِيرة.

ولمّا أتت هزيمة يزيد إلى واسط أخرج ابنه معاوية اثنين وثلاثين أسيراً كانوا عنده فضرب أعناقهم، منهم[1]: عديّ بن أرطاة، ومحمّد بن عديّ بن أرطاة، ومالك وعبد الملك ابنا مِسْمع وغيرهم، ثمّ أقبل حتّى أتى البصرة ومعه المال والخزائن، وجاء المفضّل بن المهلّب، واجتمع أهلُ المهلّب بالبصرة فأعدّوا السفن، وتجهّزوا للركوب في البحر. وكان يزيد بن المهلّب بعث ودّاع بن حُمَيْد الأزديّ على قَنْدابيل أميراً وقال له: إنّي سائر إلى هذا العدوّ، ولو قد لقيتهم لم أبرح العرصة حتّى يكون لي أو لهم، فإن ظفرت أكرمتُك، وإن كانت الأخرى كنتَ بقَنْدابيل حتّى يَقْدَم عليك أهل بيتي، فيتحصّنوا بها حتّى يأخذوا [لأنفسهم] أماناً، وقد اخترتُك لهم من بين قومي، فكنْ عند أحسن ظنّي. وأخذ عليه العهودَ ليناصحنّ أهل بيته إن هم لجأوا إليه.

فلمّا اجتمع آل المهلّب بالبصرة حملوا عيالاتهم وأموالهم في السفن البحريّة، ثم لجّجوا في البحر، حتّى إذا كانوا بحيال كَرمان خرجوا من سفنهم، وحملوا عيالاتهم وأموالهم على الدّوابّ، وكان المقدَّم عليهم المفضّل بن المهلّب، وكان بكرمان فلول كثيرة، فاجتمعوا إلى المفضّل، وبعث مَسْلمةُ بن عبد الملك مُدْركَ بن ضبّ[2] الكلبيّ في طلبهم وفي أثر الفَلّ، فأدرك مدرك المفضّلَ، ومعه الفلول في عَقَبَة، فعطفوا عليه فقاتلوه، واشتدّ قتالهم [إيّاه]، فقُتل من أصحاب المفضّل النُّعْمان بن إبراهيم بن الأشْتر النَّخَعيّ، ومحمّد بن إسحاق بن محمّد بن الأشْعث، وأُخذ ابن صُول ملك قُهُستان أسيراً، وجُرح عثمان[3] بن إسحاق بن محمّد بن الأشْعث، وهرب حتّى انتهى إلى حُلْوان، فدُلّ عليه فقُتل، وحُمل رأسه إلى مَسْلَمَة بالحيرة. ورجع ناس من أصحاب ابن المهلّب فطلبوا الأمان فأومنوا، منهم: مالك بن إبراهيم بن الأشتر، والورد بن عبد الله بن حَبيب السَّعْديّ التميميّ.

ومضى آل المهلّب ومَنْ معهم إلى قَنْدابيل، وبعث مَسْلَمة إلى مدرك بن ضبّ[4]

---

(١) في الأوربية: «فهم».

(٢) في (ب): «ظب».

(٣) في (ر): «عمر».

(٤) في (ب): «ظب».

فـردّه، وسيّر في أثـرهم هلال بن أحْـوز التميميّ، فلحِقهم بقندابيـل، فأراد أهـل المهلّب دخولها، فمنعهم ودّاع بن حُمَيْد، وكان هلال بن أحْوز لم يبـاين آل المهلّب، فلمّا التقـوا كـان ودّاع على الميمنة، وعبـد الملك بن هلال على الميسـرة، وكِـلاهُمـا أزْديّ، فـرفـع هلال بن أحْوز رايـة أمان، فمـال إليه ودّاع[1] بـن حُمَيـد، وعبد الملك بن هـلال، وتفرّق النـاس عن آل المهلّب. فلمّـا رأى ذلـك مـروان بن المهلّب أراد أن ينصـرف إلى النسـاء فيقتلهنّ، لئلاّ يصرن إلى أولئك، فنهاه المفضّل عن ذلك وقـال: إنّا لا نخـاف عليهنّ من هؤلاء. فتركهنّ، وتقدّموا بأسيافهم، فقاتلوا حتّى قُتلوا من عند آخرهم، وهم: المفضّل، وعبد الملك، وزياد، ومروان بن المهلّب، ومعاويـة بن يزيـد بن المهلّب، والمِنْهال[2] بن أبي عُيَيْنة بن المهلّب، وعَمْرو والمغيـرة ابنا قَبيصـة بن المهلّب، وحُملت رؤوسهم، وفي أُذُن كـلّ واحد رُقعـة فيها اسمـه إلاّ أبا عُيَيْنـة بن المهلّب، وعمـر بن يـزيـد بن المهلّب، وعثمان بن المفضّل بن المهلّب، فإنّهم لحِقوا برُتبيل[3].

وبعث هـلال بن أحْـوز بنسـائهم ورؤوسهم والأسـرى من آل المهلّب إلى مَسلْمـة بالحِيرة، فبعثهم مَسلمةُ إلى يزيد بن عبد الملك، فسيّرهم يزيدُ إلى العبّاس بن الوليد وهو على حلب، فنصب الرؤوس، وأراد مسلمة أن يبيع الذّرّيّة، فاشتراهم منه الجرّاح بن عبد الله الحكَميّ بمائة ألف، وخلّى سبيلهم، ولم يأخذ مُسْلمة من الجرّاح شيئاً.

ولمّا بلغ يزيدَ بن عبد الملك[4] الخبرُ بقتل يزيد سرّه لانتصاره، ولمـا في نفسه منـه قبل الخلافة[5]).

وكـان سبب العـداوة بينهمـا أنّ ابن المهلّب خـرج من الحمّـام أيّام سليمـان بن عبد الملك وقد تضمّخ بالغـالية، فـاجتاز بيـزيد بن عبـد الملك، وهو إلى جـانب عمر بن عبد العزيز، فقال: قبّح الله الدنيا، لَوَدِدْتُ أنّ مثقال غالية بألف دينـار، فلا ينـالها إلاّ كـلّ شريف. فسمع ابنُ المهلّب فقال له: بـل وَدِدْتُ أنّ الغاليـة كانت في جبهـة الأسد، فـلا ينالها إلاّ مثلي. فقال له يزيد بن عبـد الملك: والله لئن وليتُ يومـاً لأقتلنّك. فقـال له ابن المهلّب: والله لئن وليتَ هـذا الأمر وأنـا حيّ لأضربنّ وجهـك بخمسين ألف سيف، فهذا

---

(١) في الفتوح لابن أعثم ٨/٢٤: «وادع».

(٢) في الأصـل: «النهـال» وفي تـاريـخ الـطبـري ٦/٦٠٢ «أبـو عيينـة بن المهلب» والمثبت يتفق مـع: العيـون والحدائق ٣/٥٢.

(٣) في (ب): «بزنبيل»، وفي (ر): «بتربيل».

(٤) ما بين القوسين من (ر).

(٥) الـطبـري ٦/٥٩٠ ـ ٦٠٢، وانـظر: الفتـوح لابن أعثم ٨/١٦ ـ ٢٥، ومـروج الـذهب ٤/٢١١، والعيـون والحدائق ٣/٧٠ ـ ٧٤، ووفيات الأعيان ٦/٣٠٣، ٣٠٧، ونهاية الأرب ٢١/٣٨٧ ـ ٣٩٠، والبداية والنهاية ٩/٢٢٠ ـ ٢٢٢.

كان سبب البغض بينهما، وقيل غير ذلك، وقد تقدّم ذِكره.

وأمّا الأسرى فكانوا ثلاثة عشر رجلاً، فلمّا قُدِم بهم على يزيد بن عبد الملك وعنده كُثَيّر عَزّة فأنشد:

حليمٌ إذا ما نال عاقبَ مُجْمِلاً	أشدَّ العقاب أو عفا لم يُثرِّبِ
فعفْواً أميرَ المؤمنين وحِسبةً	فما تأته[1] من صالحٍ لك يُكْتَبِ
أساؤوا فإنْ تَصْفَحْ[2] فإنّك قادرٌ[3]	وأفضلُ[4] حُلمٍ حِسبةً حُلمُ مُغْضَبِ[5]

قال يزيد بن عبد الملك: هيهات يا أبا صخر! طفْ[6] بك الرَّحِم لا سبيل إلى ذلك، إنّ الله، عزّ وجلّ، أفادنيهم[7] بأعمالهم الخبيثة. ثمّ أمر بهم فقُتلوا[8]، وبقي غلام صغير فقال: اقتلوني فما أنا بصغير. فقال: انظروا أَنبت. فقال: أنا أعلم بنفسي، فقد احتلمتُ ووطِئتُ النساء، فأمر به يزيد فقُتل.

وأسماء الأسرى الذين قُتلوا: المُعارك، وعبد الله، والمغيرة، والمفضّل، ومِنْجاب أولاد يزيد بن المهلّب، ودُرَيْد[9] والحَجّاج، وغَسّان، وشبيب، والفضل، أولاد المفضّل بن المهلّب، والمفضّل بن قَبِيصة بن المهلّب. وقال ثابت قُطْنة[10] يرثي يزيد بن المهلّب:

أبى[11] طولُ هذا الليل أن يتصرّما	وهاج لك الهمُّ الفؤآد المتيَّما
أرِقتُ ولم تأرقْ معي أمُّ خالد	وقد أرِقَتْ عيناي حَوْلاً مجرَّما[12]
على هالكٍ هدّ العشيرةَ فَقْدُهُ	دعتْه المنايا فاستجابَ وسَلّما

(١) في ديوان كثيّر، والعقد الفريد: «فما تكتسب»، وفي تاريخ خليفة: «فما تحتسب».

(٢) في تاريخ خليفة، والديوان والعقد الفريد: «فإن تغفر».

(٣) في الديوان: «فإنك أهله».

(٤) في تاريخ خليفة، والعقد الفريد: «وأعظم».

(٥) الأبيات في ديوان كُثيّر عزّة - جمعه ونشره الشيخ هنري بيرس - ج ٢/١٤٧، وتاريخ خليفة ٣٢٧ وزاد بيتاً رابعاً، وكذا في العقد الفريد ٤/٤٤٣.

(٦) في نهاية الأرب ٢١/٣٩١: «أطّت»، وفي تاريخ خليفة: «لاطت»، ومثله في: العقد الفريد ٤/٤٤٣.

(٧) في الأوربية: «أفاد فيهم».

(٨) تاريخ خليفة ٣٢٧، تاريخ الإسلام (١٠١ - ١٢٠ هـ). ص ٩.

(٩) في نهاية الأرب: «ودُويّة».

(١٠) في الأوربية: «ثابت بن قطنة» وهو وهْم.

(١١) في الأوربية: «أبا».

(١٢) في الأوربية: «محرّما».

على مِلكٍ بالعَقْر يـا صـاح[1] جُبِّنَتْ — كتـائبُـهُ واستـورد المـوتَ مُعْلِمـا
أُصيب ولم أشهـدْ ولو كنتُ شـاهداً — لسلّبت[2] إن لم يجمع الحيُّ مأتما
وفي غِيَـرِ الأيّـام يـا هنـدُ فـاعلمي — لـطالـبِ وِتْـرٍ نـظرةٌ إن تـلوّمـا
فعلّيَ إن مـالتْ بيَ الـريـحُ مَيْلةً — على ابن أبـي ذِبّـان أن يتنـدّمـا
أمَسْلَمَ إن تقـدرْ عليـك رمـاحُنـا — نُـذِقْـكَ بهـا قيْءَ الأسـاود مُسْلَمـا
وإن نلقَ[3] للعبّاس في الدهـر عثرةً — نكـافِئـهُ بـاليـوم الـذي كـان قـدّمـا
قصاصاً ولم نعدُ[4] الذي كان قد أتى — إلينا وإن كـان ابن مـروانَ أظلمـا
ستعلمُ إن زلّتْ بـك النَّعْـلُ زلّـةً — وأظهَـرَ أقـوامٌ حيـاءً مجمـجَمـا
مَن الـظالم الجاني على أهـل بيتـه — إذا أُحضِـرتْ[5] أسباب أمـرٍ وأبهما
وإنّـا لعَـطّافـون[6] بـالحلم بعـدمـا — نرى الجهلَ من فـرطِ اللئيم تكرُّمـا
وإنّـا لحـلاّلـون بـالثّغـر لا نـرى — بـه سـاكنـاً إلاّ الخميسَ العَـرَمْـرمـا
نـرى أنّ للجيـران حقّـاً وذمّـةً[7] — إذ الناسُ لم يرعَوا الذي[8] الجار مَحْرَما
وإنّا لَنَقْري الضَّيفَ من قَمَـع الذّرى — إذا كان رفدُ الرافدين[9] تجشّما[10]

وله فيه مَرْثيات كثيرة.

وأمّـا أبو عُيَيْنـة بن المهلّب فأرسلت هنـد بنت المهلّب إلى يزيـد بن عبد الملك في أمانه، فـآمنه، وبقي عمـر وعثمان حتّى وليَ أسـد بن عبد الله القَسْريَ خُراسـان، فكتب إليهما بأمانهما، فقدِما خُراسان.

(قُطْنَة: بالنُّون، وهو ثابت بن كعب بن جابر العَتَكيّ الأزْديّ، أُصيبت عينه بخُراسان،

(١) الطبري ٦٠٣/٦: «على ملك يا صاح بالعَقْر».
(٢) الطبري ٦٠٤/٦: «تسلّيت».
(٣) الطبري: «تلق».
(٤) في (ب): «يفدوا»، وفي تاريخ الطبري: «ولا نعدو».
(٥) الطبري: «إذا أحصرت».
(٦) في الأوربية: «لعاطفون».
(٧) الطبري: «حاجاً وحُرمةً».
(٨) الطبري: «لدى».
(٩) في الأوربية: «وفد الوافدين».
(١٠) زاد الطبري ثلاثة أبيات أخرى ٦٠٤/٦.

فجعل عليها قُطْنة فعُرف بذلك، وهو يشتبه بثابت بن قُطْبة، بالباء الموحَدة، وهو خُزاعيّ، وذاك عَتَكيّ[١]).

ذكر استعمال مَسْلمة على العراق وخُراسان

ولمّا فرغ مَسْلمة بن عبد الملك من حرب يزيد بن المهلّب جمع له أخوه يزيدُ بن عبد الملك ولاية الكوفة والبصرة وخُراسان، فأقرّ محمّدَ بن الوليد على الكوفة. وكان قد قام بأمر البصرة بعد آل المهلّب شَبيب بن الحارث التميميّ، فبعث عليها مَسلمةُ عبدَ الرحمن بنَ سليمان الكلبيّ، وعلى شُرطتها وأحداثها عَمرو بن يزيد التّميميّ، فأراد عبدُ الرحمن أن يستعرض أهلَ البصرة فيقتلهم، فنهاه عَمرو واستمهله عشرةَ أيّام، وكتب إلى مَسلمة بالخبر، فعزله وولّى البصرةَ عبدَ الملك بنَ بِشْر بن مروان، وأقرّ عَمرو[٢] يزيد على الشُّرَط والأحداث[٣].

ذكر استعمال سعيد خُذَيْنة على خُراسان لمسلمة

استعمل مسلمةُ على خُراسان سعيدَ بن العزيز بن الحارث بن الحَكَم بن أبي العاص بن أميّة، وهو الذي يقال له سعيد خُذَيْنة، وإنّما لُقِّب بذلك لأنّه كان رجلاً ليّناً متنعّماً، فدخل عليه ملك أبْغَر وسعيد في ثياب مصَبَّغة، وحوله مَرافق مصبَّغة، فلمّا خرج من عنده قالوا: كيف رأيتَ الأمير؟ قال: خُذَينة، فلُقّب خُذينة، وخُذينة هي الدِّهْقانة ربّة[٤] البيت.

وكان سعيد تزوج ابنة مَسْلمة، فلهذا استعمله على خُراسان. فلمّا استعمل مَسلمة سعيداً على خُراسان سار إليها، فاستعمل شُعْبة بن ظُهَيْر النَّهْشليّ على سَمَرْقند، فسار إليها فقدِم الصُّغْدَ، وكان أهلها كفروا في ولاية عبد الرحمن بن نُعَيْم، ثمّ عادوا إلى الصّلح، فخطب شُعبة أهل الصُّغْد، ووبّخ سكّانها من العرب وغيرهم بالجُبْن وقال: ما أرى فيكم جريحاً ولا أسمع أنّةً. فاعتذروا إليه بأن جبّنوا أميرهم عِلْباءَ بن حَبيب العبديّ.

وأخذ سعيدُ عمّالَ عبد الرحمن بن عبد الله الذين وُلُّوا أيّام عمر بن عبد العزيز، فحبسهم ثمّ أطلقهم، ثمّ رُفع إلى سعيد أنّ جَهْم بن زَحْر الجُعْفيّ، وعبد العزيز بن عَمرو بن الحَجّاج الزّبيديّ، والمنتجع بن عبد الرحمن الأزديّ، وُلُّوا ليزيد بن المهلّب في

---

(١) ما بين الحاصرتين من (ب).

(٢) الطبري ٦/٦٠٥ «عمر».

(٣) الطبري ٦/٦٠٤، ٦٠٥.

(٤) في الأوربية: زيّة.

ثمانية نفر وعندهم أموال قد اختانوها[1] [من فيء المسلمين. فأرسل إليهم] فحبسهم بقُهُنْدُز مَرْو، وحمل جهمَ بن زَحْر على حمار وأطاف به، فضربه مائتي سوط، وأمر به وبالثمانية الذين حُبسوا معه فسُلّموا إلى ورقاء بن نصر الباهليّ فاستعفاه، فأعفاه، فسلّمهم إلى عبد الحَميد بن دِثار، وعبد الملك بن دِثار، والزُّبير بن نشيط مولى باهلة، فقتلوا في العذاب جَهْمَ بن زَحْر، وعبد العزيز، والمنتجع، وعذّبوا القعقاع وقوماً حتّى أشْفَوا على الموت، فلم يزالوا في السجن حتّى غزاهم التُّرك والصُّغْد، فأمر سعيد بإخراجهم، وكان يقول: قبّح الله الزبير، فإنّه قتل جَهْماً![2].

ذكر البيعة بولاية العهد لهشام والوليد

لمّا وجّه يزيد بن عبد الملك الجيوش إلى يزيد بن المهلّب، على ما ذكرناه، واستعمل على الجيش مَسْلمة بن عبد الملك أخاه والعبّاس بن الوليد بن عبد الملك وهو ابن أخيه، قالا له: يا أمير المؤمنين إنّ أهل العراق أهل غدْر وإرجاف، وقد توجّهْنا محاربين والحوادث تحدث، ولا نأمن أن يُرْجِف أهل العراق، ويقولوا: مات أمير المؤمنين، فيفتّ ذلك في أعضادنا، فلو عهدتَ عهد عبد العزيز بن الوليد لكان رأياً صواباً.

فبلغ ذلك مسلمةَ بنَ عبد الملك، فأتى أخاه يزيد فقال: يا أمير المؤمنين، إيّما[3] أحبّ إليك أخوك أم ابن أخيك؟ فقال: بل أخي. فقال: فأخوك أحقّ بالخلافة. فقال يزيد: إذا لم تكن في ولدي فأخي أحقّ بها من ابن أخي كما ذكرتَ. قال: فابنُك لم يبلغ، فبايعْ لهشام بن عبد الملك، ثمّ بعده لابنك الوليد، وكان الوليد يومئذ ابن إحدى عشرة سنة، فبايع بولاية العهد لهشام بن عبد الملك أخيه، وبعده لابنه الوليد بن يزيد، ثمّ عاش يزيد حتّى بلغ ابنُهُ الوليد، فكان إذا رآه يقول: الله بيني وبين مَنْ جعل هشاماً بيني وبينك[4].

ذكر غزو التُّرْك

لمّا وليَ سعيد خُراسان استضعفه الناسُ وسمّوه خُذَيْنة، وكان قد استعمل شُعْبَة

---

(١) في الأوربية: اختافوها.

(٢) الطبري ٦/٦٠٥ ـ ٦٠٧، نهاية الأرب ٢١/٣٩٢ وفيه «خُدينة» بالدال المهملة، وانظر: تاريخ اليعقوبي ٢/٣١١.

(٣) في طبعة صادر ٥/٩١: «إنما» وهو غلط.

(٤) الخبر في: العقد الفريد ٤/٤٤٢، واختصره النويري في: نهاية الأرب ٢١/٣٩٣.

على سَمَرْقند ثمّ عزله، فطمعت التُّركُ، فجمعهم خاقان ووجّههم إلى الصُّغْد، وعلى الترك كور صُول، فأقبلوا حتّى نزلوا بقصر الباهليّ.

وقيل: أراد عظيم من عظماء الدّهاقين أن يتزوّج امرأةً من باهلة كانت في ذلك القصر، فأبت، فاستجاش، ورجوا أن يسبوا مَنْ في القصر، فأقبل كور صُول حتّى حصر أهل القصر، وفيه مائة أهل بيتٍ بذراريهم، وكان على سمرقند عثمان بن عبد الله بن مُطَرِّف بن الشِّخِّير، قد استعمله سعيد بعد شُعبة، فكتبوا إليه، وخافوا أن يُبطىء عنهم المدد، فصالحوا التُّرك على أربعين ألفاً، وأعطوهم سبعةَ عشر رجلاً رهينةً.

وندب عثمان الناس، فانتدب المُسَيّب بن بشر الرياحيّ، وانتدب معه أربعة آلاف من جميع القبائل، وفيهم شُعْبَة بن ظُهَير، وثابت قُطْنة، وغيرهما من الفرسان، فلمّا عسكروا قال لهم المسيّب: إنّكم تَقْدَمون على حَلْبة التُّرك عليهم خاقان، والعِوَض إنْ صبرتم الجنّة. والعِقاب إن فررتم النار، فمَنْ أراد الغزو والصبر فليقْدَمْ، فرجع عنه ألف وثلاثمائة، فلمّا سار فرسخاً رجع بمثل مقالته الأولى، فاعتزله ألف، (ثمّ سار فرسخاً آخر، فقال لهم مثل ذلك، فاعتزله ألف، ثمّ سار)[1]، فلمّا كان على فرسخَيْن منهم نزل، فأتاهم تُرك خاقان ملك (قي)[2] فقال: لم يبق ها هنا دهقان إلاّ وقد بايع التُّرك غيري، وأنا في ثلاثمائة مقاتلٍ، فهم معك، وعندي الخبر قد كانوا صالحوهم، وأعطوهم سبعة عشر رجلاً يكونون رهينةً في أيديهم، حتّى يأخذوا صلحهم، فلمّا بلغهم مسيركم إليهم قتلوا الرهائن، وميعادهم أن يقاتلوا غداً ويفتحوا لهم القصر.

فبعث المسيّب رجُلَيْن، رجلاً من العرب، ورجلاً من العجم، ليعلما عِلم القوم، فأقبلا في ليلةٍ مظلمة، وقد أخذت التُّركُ الماءَ في نواحي القصر، فليس يصل إليه أحد، ودنوَا من القصر، فصاح بهما الربيئة، فقالا له: اسكتْ وادعُ لنا عبد الملك بن دِثار. فدعاه، فأعلماه بقرب المسيّب منهم وقالا: هل عندكم امتناع الليلة وغداً؟ قالوا: قد أجمعنا على تقديم نسائنا للموت أمامنا، حتّى نموت جميعاً غداً. فرجعا إلى المسيّب فأخبراه، فقال لمَنْ معه: إنّي سائر إلى هذا العدوّ، فمَن أحبَّ أن يذهب فليذهبْ، فلم يفارقه أحد، وبايعوه على الموت.

فأصبح وسار وقد ازداد القصر تحصيناً بالماء الذي أجراه التُّرك، فلمّا صار بينه وبين الترك نصف فرسخ نزل وقد أجمع على بَياتهم، فلمّا أمسى أمر أصحابه بالصبر وحثّهم عليه وقال: ليكنْ شعاركم يا محمّد، ولا تتبعوا مولّياً، وعليكم بالدّوابّ فاعقروها، فإنّها

---

(١) ما بين القوسين من (ر).

(٢) من (ر).

إذا عُقرت كانت أشدّ عليهم منكم، وليست بكم قلّة، فإنّ سبعمائة سيف لا يُضْرَب بها في عسكر إلا أوهنوه وإن كثر أهله. وجعل على ميمنته كثيّراً الدّبوسيّ، وعلى ميسرته ثابت قُطْنة، وهو من الأزد[1]، فلمّا دنوا منهم كبّروا، وذلك في السَّحَر، وثار الترك، وخالطهم المسلمون فعقروا الدّوابّ، وترجّل المسيّبُ في رجال معه، فقاتلوا قتالاً شديداً، وانقطعتْ يمين البَخْتريّ المرائيّ، فأخذ السيف بشماله فقُطعت، فجعل يذبّ بيدَيْه حتى استُشهد. وضرب ثابت قطنة عظيماً من عظماء الترك فقتله، وانهزمت التُّرك، ونادى منادي المسيّب: لا تتبعوهم. فإنّهم لا يدرون من الرعب أتبِعْتُمُوهم أم لا، واقصدوا القصر، ولا تحملوا إلاّ الماء، ولا تحملوا إلاّ مَنْ يقدر على المشي، ومَنْ حمل امرأةً أو صبيّاً أو ضعيفاً حِسبةً فأجْرُه على الله، ومن أبى فله أربعون درهماً، وإن كان في القصر أحد من أهل عهدكم فاحملوه. فحملوا مَنْ في القصر وأتوا تُرك خاقانَ، فأنزلهم قصره وأتاهم بطعام، ثمّ ساروا إلى سمرقند. ورجعت التُّرك من الغد، فلم يروا في القصر أحداً، ورأوا قتلاهم فقالوا: لم يكن الذي جاءنا من الإنس. فقال ثابت قُطْنة:

فدتْ نفسي فوارسَ من تميمٍ ... غَداةَ الرَّوع في ضَنْكِ المقامِ
فدتْ نفسي فوارسَ أكنفوني[2] ... على الأعداء في رَهَج القَتامِ
بقصر الباهليّ وقد رأوْني ... أحامي حيث[3] ضنّ[4] به المحامي
بسيفي بعد حطْم الرُّمْح قُدْماً ... أذودُهُم بذي شُطَبٍ حسامِ[5]
أكُرُّ عليهمُ اليحمومَ[6] كرّاً ... ككرّ الشَّرْبِ آنيةَ المُدامِ
أكرُّ به لدَى الغمراتِ حتّى ... تجلّت لا يضيقُ به مَقامي
فلولا اللَّهُ ليس له شريكٌ ... وضَرْبي قَوْنَسَ الملكِ الهُمامِ
إذاً لَسَعتْ نساءُ بني دثارٍ ... أمامَ التُّركِ باديةَ الخِدامِ[7]
فَمنْ مثلُ المسيَّبِ في تميمٍ ... أبي بِشْرٍ كقادمةِ[8] الحَمامِ[9]

---

(١) في (ر): «من خزاعة».
(٢) في الأوربية: «أكتفوني».
(٣) في (ب) و(ر): «أجافي عين».
(٤) في الأوربية: «ضرّ».
(٥) الطبري ٦/٦١١ «جُسَام».
(٦) في (ب): «النجوم».
(٧) في نسخة بودليان: «الحزام».
(٨) في (ر): «كقادته».
(٩) الطبري ٦/٦١١.

وعُوِّر تلك الليلة معاوية بن الحجّاج الطائيّ وشلّت يده، وكان قد وليَ ولايةً قِبَل سعيد، فأخذه سعيد بشيء بقي عليه، فدفعه إلى شدّاد بن خُلَيْد الباهليّ ليستأديه[1]، فضيّق عليه شدّاد، فقال معاوية: يا معشر قَيس سرتُ إلى قصر الباهليّ وأنا شديد البطْش حديد البصر، فعُوِّرْتُ وشُلّت يدي، وقاتلتُ حتّى استنقذناهم بعدما أشرفوا على القتل والأسر والسبْي، وهذا صاحبكم يصنع بي ما يصنع، فكُفّوه عنّي. فخلّاه.

قال بعض مَنْ كان بالقصر: لمّا التقوا ظننّا أنّ القيامة قد قامت لما سمعنا من هماهمِ القوم، ووقْعِ الحديد، وصهيل الخيل[2].

ذكر غزو الصّغد

وفي هذه السنة عبر سعيدُ خُذَينة النهر وغزا الصُّغْدَ، (وكانوا قد نقضوا العهد وأعانوا التُّرك على المسلمين، فقال الناس لسعيد: إنّك قد تركتَ الغزو، وقد أغار الترك وكفر[3] أهل الصُّغْد. فقطع النهر وقصد الصُّغْد)[4]، فلقِيه الترك وطائفةٌ من الصُّغد، فهزمهم المسلمون، فقال سعيد: لا تتبعوهم، فإنّ الصُّغْد بستان أمير المؤمنين وقد هزمتموهم، أفتُريدون بَوَارَهم؟ وقد قاتلتم يا أهل العراق الخلفاء غير مرّة، فهل أبادوكم؟ وقال سَوْرة بن الحُرّ لحيّان النَّبَطيّ: ارجعْ عنهم يا حيّان. قال: عقيرة الله لا أدعها. قال: انصرفْ يا نبطيّ. قال: أنبط الله وجهك!.

وسار المسلمون فانتهوا إلى وادٍ بينهم وبين المرج، فقطعه بعضهم وقد أكمن لهم الترك، فلمّا جاءهم المسلمون خرجوا عليهم، فانهزم المسلمون حتّى انتهوا إلى الوادي، فصبروا حتّى انكشفوا لهم. وقيل: بل كان المنهزمون مَسْلَحة المسلمين، فما شعروا إلّا والترك قد خرجوا عليهم من غَيْضةٍ، وعلى الخيل شُعْبَة بن ظُهَيْر، فأعجلهم التُّرك عن الركوب، فقاتلهم شُعْبَة، فقُتل وقُتل نحوٌ من خمسين رجلاً، وانهزم أهل المَسْلَحة، وأتى المسلمين الخبرُ، فركب الخليل بن أوْس العَبْشَميّ أحد بني ظالم ونادى: يا بني تميم إليّ أنا الخليل! فاجتمع معه جماعة، فحمل بهم على العدوّ، فكفّوهم حتّى جاء الأمير والناس، فانهزم العدوّ، فصار الخليل على خيل بني تميم حتّى وليَ نصر بن سَيّار، ثمّ صارت رياستهم لأخيه الحَكَم بن أوْس.

فلمّا كان العام المقبل بعث رجالاً من تميم إلى وزغيش[5] فقالوا: ليتنا نلقى العدوّ

---

(١) في (ب): «ليستأذنه».

(٢) الطبري ٦/٦٠٧ - ٦١٢، البداية والنهاية ٩/٢٢٢، ٢٢٣.

(٣) في الأوربية: «وأغزُ».

(٤) ما بين القوسين من (ر).

(٥) الطبري ٦/٦١٤: «وَرَغْسَر».

فنطاردهم. وكان سعيد إذا بعث سريّة فأصابوا أو غنموا[١] وسبوا ردّ السبي وعاقب السريّة؛ فقال الهجريّ الشاعر:

سريتَ إلى الأعداء تلهُو بلَعْبةٍ ... وأيْرُكَ مسلولٌ وسيفك مُغْمَدُ
وأنتَ لمَنْ عاديتَ عِرْسٌ خَفِيّةٌ ... وأنت علينا كالحُسامِ المهنْدِ[٢]

فقعد سعيد على الناس وضعّفوه. وكان رجلٌ من بني أسد يقال له إسماعيل منقطعاً إلى مروان بن محمّد، فذكر إسماعيل عند خُذَيْنة مودّته[٣] لمروان، فقال خُذَينة: وما ذاك المِلْط[٤]؟ فقال إسماعيل:

زعمتْ خذينة أنّني مِلْطُ[٥] ... لِخُذَينة المرآةُ والمُشْطُ
ومَجامرٌ ومكاحِلٌ جُعلتْ ... ومَعازفٌ وبخدّها نُقطُ
أَفَذَاكَ أم زَغَفٌ مُضاعَفةٌ ... ومُهنّدٌ من شأنه القَطُّ
لمُقْرَسٍ ذَكَرٍ أخي ثقةٍ ... لم يغذُهُ التأنيثُ واللّقْطُ

في أبياتٍ غيرها[٦].

ذكر موت حيان النبطيّ

وقد ذُكر من أمر حيّان فيما تقدّم عند قتل قُتَيْبَة، وأنّه ساد وتقدّم بخُراسان، فلمّا قال له سَوْرة بن الحُرّ: يا نَبَطيّ، وأجابه حيان فقال: أنبط اللّهُ وجهك، على ما تقدّم آنفاً، حقدها عليه سَوْرة، فقال لسعيد خُذَينة: إن هذا العبد أعْدَى الناس للعرب والوالي، وهو أفسد خُراسان على قُتيبة، وهو واثب بك، مُفسد[٧] عليك خُراسان، ثمّ يتحصّن في بعض هذه القلاع. فقال سعيد: لا تُسمعن[٨] هذا أحداً. ثمّ دعا في مجلسه بلبنٍ وقد أمر بذَهَب، فسُحق وأُلْقي في اللّبن الذي في إناء حيان، فشربه حيان، ثمّ ركض سعيد

---

(١) الطبري: «فأصابوا وغنموا».
(٢) زاد الطبري بيتاً:
فللّه درّ السغد لما تحزّبوا ... ويا عجباً من كيدك المتردّد
(٣) في (ب): «ومودّته».
(٤) في الأوربية: «المسلّط».
(٥) المِلْط: الذي لا يُعرف له نسب ولا أب.
(٦) الطبري ٦/٦١٢ - ٦١٥.
(٧) في الأوربية: «ففسد».
(٨) في الأوربية: «أسمعنّ».

والناس معه أربعة فراسخ ثمّ رجع، فعـاش حيان أربعـة أيّام ومـات. وقيل: إنّـه لم يمتْ هذه السنة، وسَيرد ذِكره فيما بعد إن شاء الله تعالى.

ذكر عزل مَسْلمة عن العراق وخُراسان وولاية ابن هُبَيْرة

وكان سبب ذلك أنّه وليَ العراق وخُـراسان، فلم يـرفع من الخـراج شيئاً، واستحيـا يزيد بن عبد الملك أن يعزله فكتب إليه: استخلفْ على عملك وأقبِلْ.

وقيل: إنّ مَسْلمة شـاور عبد العـزيز بن حـاتم بن النُّعمان في الشخـوص إلى يزيـد ليزوره. قال: أمِن شَوقٍ إليه؟ إنّ عهدك منه لقـريب. قال: لا بـدّ من ذلك. قـال: إذاً لا تخـرج من عملك حتّى تلقى الوالي عليـه. فسار مَسلَمـة فلقِيـه عمـر بن هُبيـرة الفَـزَاريّ بالعراق على دوابّ البريد، فسأله عن مَقْدَمه، فقال عمر: وجّهني أميرُ المؤمنين في حيازة أموال بني المهلّب.

فلمّا خرج من عنـده أحضر مَسْلمـةُ عبدَ العـزيز بن حـاتم، وأخبره خبـر ابن هُبيرة، فقال: قد قلتُ لك. قال مَسْلَمة: فإنّه جاء لحيـازة أموال آل المهلّب. قـال: هذا أعجب من الأوّل، يكـون ابن هُبيـرة على الجـزيـرة، فيُعْـزَل عنهـا، ويُبْعَث لحيــازة أمـوال بني المهلّب، ولم يُكْتَب معه إليك كتاب! فلم يلبث حتّى أتاه عـزْلُ ابن هُبيرة عمّـالَه والغلْظة عليهم؛ فقال الفرزدق:

راحتْ بمَسْلَمـة[١] البغالُ عشيَّةً[٢] ... فـارْعَيْ فَـزارةُ لا هَنـاكِ المَـرْتَـعُ

عُـزل ابنُ بِشْـرٍ[٣] وابنُ عمـروٍ قبلهُ ... وأخــو هَــراةَ لمثلهــا يَتَــوقّــعُ[٤]

يعني بابن بِشْر: عبد الملك بن بشر بن مـروان، وبابن عمـرو: محمّداً ذا الشـامة، وبأخي هَرَاةَ: سعيد خُذَينة[٥].

(وأمّـا ابتداء أمـر ابن هُبَيْرة حتّى وليَ العـراق)[٦]، فـإنّـه قـدِم من البـاديـة من بني فَـزَارة، فـافترض مـع بعض وُلاة الحرب، وكـان يقول: لأرجـو أن لا تنقضي الأيّام حتّى أَلِيَ العراقَ. وسار مع عَمْرو بن معاوية العُقَيْليّ إلى غزو الروم، فأُتي بفَرسٍ رائع، إلاّ أنه

---

(١) في الديوان: «ومضت لمسلمة».

(٢) في تاريخ الطبري: «راحت بمسلمة الركاب مُودّعاً».

(٣) في الديوان: «نزع ابن بشر».

(٤) ديوان الفرزدق ٥٠٩، الطبري ٦/٦١٦.

(٥) الطبري ٦/٦١٥، ٦١٦.

(٦) ما بين القوسين من (ر).

لا يُستطاع رُكوبه، فقال: مَنْ ركبه فهو له، فقام عمر بن هُبيرة وتنحّى عن الفرس، وأقبل حتّى إذا كان بحيث تناله رِجْلا الفرس إذا رَمَحه وثب فصار على سَرْجه، فأخذ الفرس.

فلمّا خلع مطرّفُ بن المُغيرة بن شُعْبَة الحجّاجَ سار عمر بن هُبيرة في الجيش الذين حاربوه من الريّ، فلمّا التقى العسكران التحق ابن هُبيرة بمطرّف مظهِراً أنّه معه، فلمّا جال الناسُ كان ممّن قتله وأخذ رأسه، وقيل قتله غيره وأخذ هو رأسه. وأتى به عديّا، فأعطاه مالاً، وأوفده إلى الحجّاج بالرأس، فسيّره الحجّاجُ إلى عبد الملك، فأقطعه ببَرْزَة، وهي قرية بدمشق، وعاد إلى الحجّاج، فوجّهه إلى كَرْدم بن مَرْثِد الفَزَاريّ ليخلّص منه مالاً، فأخذه[1] منه وهرب إلى عبد الملك وقال: أنا عائذٌ بالله وبأمير المؤمنين من الحجّاج، فإنّني قتلتُ ابنَ عمّه مطرّف بن المغيرة، وأتيتُ أمير المؤمنين برأسه، ثمّ رجعتُ فأراد قتلي، ولستُ آمن أن ينسبني إلى أمر يكون فيه هلاكي.. فقال: أنت في جِواري. فأقام عنده، فكتب فيه الحجّاج إلى عبد الملك يذكر أَخْذه المال وهربه، فقال له: أمسِكْ عنه.

وتزوّج بعضُ ولد عبد الملك بنتاً للحَجّاج، فكان ابن هُبيرة يهدي لها ويبرّها وييسّر عليها، فكتبت إلى أبيها تُثْني عليه، فكتب إليه الحَجّاجُ يأمره أن ينزل به حاجاته، وعظُم شأنه بالشام. فلمّا استخلف عمر بن عبد العزيز استعمله على الجزيرة، فلمّا وليَ يزيد بن عبد الملك ورأى ابن هُبيرة تحكُّم حَبابة عليه تابع هداياه إليه وإلى يزيد بن عبد الملك، فعملتْ له في ولاية العراق، فولّاه يزيد.

وكان ابن هُبيرة بينه وبين القَعْقَاع بن خُلَيْد العَبْسيّ تحاسدٌ، فقال القعقاع: من يُطيق ابن هُبيرة، حَبابة بالليل، وهداياه بالنهار! فلمّا ماتت حبابة قال القعقاع:

هلُمّ فقد ماتت حَبابة سامِني ... بنفسك يقدمْك الذّرَى والكواهلُ
أغرّك[2] أن كانت حَبابة مرّةً ... تَميحك، فانظرْ كيف ما أنتَ فاعلُ

في أبيات. وكان بينه وبين القعقاع يوماً كلام، فقال له القعقاع: يابن اللَّخْناء مَنْ قدّمك؟ فقال: قدّمك أنت وأهلك أعجاز الغواني[3]، وقدّمني صدور العوالي. فسكت القعقاعُ. يعني أنّ عبد الملك قدّمهم لمّا تزوّج إليهم، فإنّ أمّ الوليد وسليمان ابنَيْ عبد الملك بن مروان عَبْسيّة.

---

(١) في الأوربية: «فأخذ».
(٢) في الأوربية: «أعزّك».
(٣) في الأوربية: «الغوافي».

ذكر بعض الدُّعاة للدولة العباسيّة[1]

وفي هذه السنة وجّه مَيْسرة رُسُلَه من العراق إلى خُراسان، فظهر أمر الدُّعاة بها، فجاء عَمْرو بن بَحِير بن ورقاء السَّعديّ إلى سعيد خُذَينة فقال له: إنّ ها هنا قوماً قد ظهر منهم كلامٌ قبيح، وأعلمه حالهم، فبعث سعيد إليهم فأُتي بهم، فقال: ممّنْ أنتم؟ قالوا: ناس من التّجّار. قال: فما هذا الذي يُحْكَى عنكم؟ قالوا: لا ندري. قال: جئْتم دُعاةً؟ قالوا: إنّ لنا في أنفسنا وتجارتنا شغلاً عن هذا. فقال: مَنْ يعرف هؤلاء؟ فجاء ناس من أهل خُراسان أكثرهم من رَبيعة واليمن فقالوا: نحن نعرفهم، وهم علينا إن أتاك منهم شيء تكرهه[2]. فخلّى سبيلهم[3].

ذكر قتل يزيد بن أبي مسلم

قيل: كان يزيد بن عبد الملك قد استعمل يزيد بن أبي مسلم بإفريقية سنة إحدى ومائة، وقيل هذه السنة، وكان سبب قتله أنّه عزم أن يسير فيهم بسيرة الحجّاج في أهل الإسلام الذين سكنوا الأمصارَ ممّنْ كان أصله من السواد من أهل الذّمّة، فأسلم بالعراق، فإنّه ردّهم إلى قراهم ووضع الجزيةَ على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم كُفّار، فلمّا عزم يزيد على ذلك اجتمع رأيهم على قتله فقتلوه، وولّوا على أنفسهم الوالي الذي كان عليهم قبل يزيد بن أبي مسلم، وهو محمّد بن يزيد، فوليَ الأمصار، وكان عندهم، وكتبوا إلى يزيد بن عبد الملك: إنّا لم نخلع أيدينا من طاعة، ولكنّ يزيد بن أبي مسلم سامَنا ما لا يرضاه اللّهُ والمسلمون، فقتلناه وأعدنا عاملك. فكتب إليهم يزيد بن عبد الملك: إنّي لم أرضَ ما صنع يزيد بن أبي مسلم؛ وأقرّ محمّد بن يزيد على عمله[4].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة غزا عمر بن هُبَيْرة الرومَ من ناحية أرمينية وهو على الجزيرة قبل أن

---

(١) في الأوربية: «العْبسيّة».

(٢) في (ب): «يكرههم».

(٣) الطبري ٦/٦١٦، ٦١٧، وانظر: تاريخ اليعقوبي ٢/٣١٢، والأخبار الطوال ٣٣٢ - ٣٣٤.

(٤) الطبري ٦/٦١٧، وانظر: تاريخ خليفة ٣٢٦، وتاريخ اليعقوبي ٢/٣١٣، ووفيات الأعيان ٦/٣١١، ونهاية الأرب ٢١/٣٩٣، ٣٩٤، والحلّة السيراء ٢/٣٣٦ رقم ١٨١، وانظر عنه وعن مصادر أخرى لترجمته في: تاريخ الإسلام (١٠١ - ١٢٠ هـ). ص ٢٨٢ رقم ٢٧٦ (بتحقيقنا)، وفي كتابنا: لبنان من الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة الأمويّة - ص ٢١٦ - ٢١٨، ومآثر الإنافة ١/١٤٩.

يلي العراق، فهزمهم وأسر منهم خلقاً كثيراً قيل[1] سبعمائة أسير[2].

وفيها غزا عبّاس بن الوليد بن عبد الملك الروم فافتتح دلسة[3].

وحجّ بالناس هذه السنة عبد الرحمن بن الضَّحّاك، وهو عامل المدينة[4].

وكان على مكّة: عبد العزيز بن عبد الله بن خالد. وكان على الكوفة: محمّد بن عَمْرو ذو الشامة، وعلى قضائها: القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، وعلى البصرة: عبد الملك[5] بن بِشْر[6] بن مروان إلى أن عزله عمر بن هُبيرة، وعلى خُراسان: سعيد خُذَيْنة، وعلى مصر: أُسامة بن زيد[7].

---

(١) في الأوربية: «وقتل».

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/٣١٤، تاريخ العظيمي ٢٠٢، النجوم الزاهرة ١/٢٤٨، العيون ٣/٧٥.

(٣) تاريخ خليفة ٣٢٧ وفيه: «دبسة»، تاريخ العظيمي ٢٠١، النجوم ١/٢٤٨.

(٤) تاريخ خليفة ٣٢٧، المحبّر ٢٨، تاريخ اليعقوبي ٢/٣١٤، الطبري ٦/٦١٧، مروج الذهب ٤/٣٩٩، تاريخ العظيمي ٢٠٢، نهاية الأرب ٢١/٣٩٤، النجوم الزاهرة ١/٢٤٨.

(٥) في الأوربية: «عبد الله».

(٦) في (ب) زيادة: «ابن عبد الملك».

(٧) الطبري ٦/٦١٨.

١٠٣
ثم دخلت سنة ثلاثٍ ومائة

ذكر استعمال سعيد الحَرشيّ على خُراسان

في هذه السنة عزل عمرُ بن هُبَيْرة سعيد خُذَيْنة عن خُراسان. وكان سبب عزله أنّ المُجَشّر بن مُزاحم السّلَميّ وعبد الله بن عُمَيْر الليثيّ قدِما على عمر بن هُبيرة فشكواه، فعزله واستعمل سعيد بن عَمْرو الحَرَشيّ، (بالحاء المهملة، والشين المعجمة من بني الحَريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة). وكان خُذينة [غازياً] بباب سَمَرْقَنْد، فبلغه عزله، وخلّف بسمرقند ألف رجل[١].

وقيل: إنّ عمر بن هُبيرة كتب إلى يزيد بن عبد الملك بأسماء مَنْ أبلى يوم العَقر ولِم يذكر سعيداً الحَرَشيّ، فقال يزيد: لِمَ لم يذكر الحَرَشيّ؟ وكتب إلى عمر بن هُبيرة أن ولِّ الحَرَشيّ خُراسان. فولاّه، فقدّم بين يدَيْه المجشّر بن مزاحم السُّلَميّ؛ فقال نهار بن بن تَوْسِعة:

فهل من مُبْلغ[٢] فتيان قومي ... بأنّ النَّبلَ ريشَتْ كلّ رَيْشِ
وأنّ اللَّه أبدل من سعيد ... سعيداً لا المخنّثَ من قُرَيشِ

وقدِم سعيد الحَرَشيّ خُراسان، فلم يعرض لعمّال خُذَينة، وقرأ رجل عهده فَلَحَن فيه، فقال: صَه، مهما سمعتم فهو من الكاتب، والأميرُ منه بريء. ولمّا قدِم الحَرَشيّ خُراسان كان الناس بإزاء العدوّ، وكانوا قد نُكبوا، فخطبهم وحثّهم على الجهاد وقال: إنّكم لا تقاتلون بكثرة ولا بعُدّة، ولكن بنصر الله وعزّ الإسلام، فقولوا: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله [العليِّ] العظيم؛ وقال:

فلستُ لعامر إنْ لم تَروني ... أمام الخيل أطعنُ[٣] بالعوالي

---

(١) الطبري ٦/٦١٩.
(٢) الطبري: «فمن ذا مبلغ».
(٣) في الأوربية: «نطعن».

وأضـربُ هـامـةَ الجبّـارِ منهـمْ بعَضْبِ الحدّ حُودِثَ[1] بـالصّقالِ
فمـا أنـا في الحـروب بمُستكيـنٍ ولا أخشَى مُصـاولـةَ الـرجـالِ
أبـى لـي والـدي مـن كـلّ ذمٍّ وخـالي في الحوادث خيـرُ خالِ[2]

فلمّا سمع أهل الصُّغد بقدوم الحَرَشيّ خافوا على نفوسهم، لأنّهم كانـوا قد أعـانوا التُّرك أيّام خُـذَيْنة، فـاجتمع عـظماؤهم على الخـروج من بلادهم، فقـال لهم ملكهم: لا تفعلوا، أقيمـوا واحملوا الخراج مـا مضى، واضمنوا لـه خراجَ مـا يـأتي وعمـارةَ الأرض، والغزو معه إن أراد ذلك، واعتذروا ممّا[3] كان منكم وأعطوه رهائن. قـالوا: نخـاف أن لا يْرضى ولا يقبل ذلك منّا، ولكنّا[4] نأتي خُجَنْدة فنستجير ملكها، ونرسل إلى الأمير فنسأله الصّفح عمّا كان منّـا، ونوثق [له] أنّه لا يرى [منّا] أمراً يكـرهه. فقـال: أنا رجـل منكم، والّذي أشرتُ به عليكم خير لكم.

فأبوا وخرجوا إلى خُجَنْدة، وأرسلوا إلى ملك فَرغـانة يسـألونـه أن يمنعهم ويُنْزلهم مدينته، فـأراد أن يفعل فقـالت أمّه: لا يـدخل هؤلاء الشيـاطين مدينتـك، ولكن فرّغْ لهم رُستاقاً يكونون[5] فيه، فأرسل إليهم: سمّوا رستاقاً تكونون فيه حتّى أفرّغـه لكم، وأجّلوني أربعين يوماً، وقيل عشرين يوماً. فاختاروا شِعب عصام بن عبد الله الباهليّ، وكان قُتَيْبة قد خلّفـه فيهم، فقال: نعم، وليس[6] [لكم] عليَّ عقـد وجوارٍ حتّى[7] تـدخلوه، وإن أتتكم [العربُ] قبل أن تدخلوه لم أمنعكم. فرضوا، ففرّغ لهم الشِّعب[8].

ذكر عدّة حوادث

قيـل: وفي هذه السنـة أغارت التُّـرك على اللاّن[9].

---

(١) حودث: جُلي.
(٢) الطبري ٦/٦٢١ وفيه زيادة بيت:
إذا خـطرت أمـامـي حـيُّ كـعـب وزافـت كـالـجـبـال بـنـو هـلالِ
وكذا في: نهاية الأرب ٢١/٣٩٥.
(٣) في (ر): «فيما».
(٤) في الأوروبية: «ولما».
(٥) في الأوربية: «يكونوا».
(٦) في الأوربية: «ولئن».
(٧) في (ر): «قبل أن».
(٨) الطبري ٦/٦٢٠ ـ ٦٢٢، نهاية الأرب ٢١/٣٩٤، ٣٩٥.
(٩) تاريخ اليعقوبي ٢/٣١٥، الطبري ٦/٦١٩، النجوم الزاهرة ١/٢٥١.

وفيها غزا العبّاس بن الوليد الرُّومَ، ففتح مدينة يقال لها دلسة[١].

وفيها جُمعت مكّة والمدينة لعبد الرحمن بن الضَّحاك[٢].

وفيها ولّي عبد الواحد بن عبد الله النَّضْري[٣] الطائفَ، وعُزل عبد العزيز بن عبد الله بن خالد عنه وعن مكّة[٤].

وحجّ بالناس عبد الرحمن بن الضَّحاك، وكان عامل مكّة والمدينة[٥].

وكان على العراق: عمر بن هُبَيْرة، وعلى خُراسان: الحَرَشيّ، وعلى قضاء الكوفة: القاسم بن عبد الرحمن، وعلى قضاء البصرة: عبد الملك بن يَعْلَى[٦].

[الوَفَيَات]

وفي هذه السنة مات الشَّعْبيّ[٧]، وقيل: خمس، وقيل: سبْع ومائة، وهو ابن سبْعٍ وسبعين سنة.

وفيها مات يزيد بن الأصمّ[٨]، وهو ابن أخت ميمونة زوج النبيّ ﷺ، وقيل: مات سنة أربع ومائة، وعُمره ثلاثٌ وسبعون سنة.

وفيها مات أبو بُرْدَة بن أبي موسى الأشعري[٩].

ويزيد بن الحُصَيْن[١٠] بن نُمَيْر السَّكونيّ.

---

(١) في الأوربية: «دسلة»، وفي تاريخ خليفة ٣٢٧: «دبسة» (حوادث ١٠٢ هـ)، و٣٢٨ دون ذكر المدينة، تاريخ اليعقوبي ٢/٣١٤، الطبري ٦/٦١٩ وفيه «رسلة»، وقال العظيمي في تاريخ حلب ٢٠٢: سنة ثلاث ومائة لم تكن صائفة ولا شاتية!، النجوم الزاهرة ١/٢٥١، ٢٥٢ وفيه: «رسلة». وانظر المنتخب من تاريخ المنبجي ٨٨.

(٢) الطبري ٦/٦٢٠.

(٣) في (ر): «النصري»، وهو تحريف.

(٤) الطبري ٦/٦٢٠، نهاية الأرب ٢١/٣٩٥، البداية والنهاية ٩/٢٢٣، مآثر الإنافة ١/١٤٨، ١٤٩، النجوم ١/٢٥٢.

(٥) المحبَّر ٢٨، تاريخ خليفة ٣٢٨، تاريخ اليعقوبي ٢/٣١٤، الطبري ٦/٦٢٠، مروج الذهب ٤/٣٩٩، تاريخ العظيمي ٢٠٢، البداية والنهاية ٩/٢٢٣، النجوم الزاهرة ١/٢٥٢.

(٦) الطبري ٦/٦٢٠.

(٧) انظر عن (الشعبي) وهو: (عامر بن شراحيل) في: تاريخ الإسلام (١٠١ - ١٢٠ هـ). ص ١٢٤ - ١٣٢ رقم ١٠٦ وفيه مصادر ترجمته.

(٨) انظر عن (يزيد بن الأصمّ) في: تاريخ الإسلام (١٠١ - ١٢٠ هـ). ص ٢٧٥، ٢٧٦ رقم ٢٦٧ وفيه مصادر ترجمته.

(٩) انظر عن (أبي بُرْدة) في: تاريخ الإسلام (١٠١ - ١٢٠ هـ). ص ٢٨٤، ٢٨٥ رقم ٢٧٩ وفيه مصادر ترجمته.

(١٠) انظر عن (يزيد بن الحصين) في: تاريخ الإسلام (١٠١ - ١٢٠ هـ). ص ٢٧٦ رقم ٢٦٨ وفيه مصادر ترجمته.

وفيها توفّي عطاء بن يَسَار[1]، وهو أخو سليمان؛ (يسار بالياء المثنّاة من تحت، والسين المهملة).

وفيها توفّيت عمْرة بنت عبد الرحمن بن سعيد بن زُرارة الأنصاريّة، وهي ابنة سبْعٍ وسبعين سنة.

وفيها توفّي مُصْعَب بن سعد بن أبي وقّاص[2].

ويحيى بن وثّاب الأسدي المِنْقَري[3].

وعبد العزيز بن حاتم[4] بن النُعمان الباهليّ، وكان عامل عمر بن عبد العزيز على الجزيرة.

---

(١) انظر عن (عطاء بن يسار) في: تاريخ الإسلام (١٠١ ـ ١٢٠ هـ). ص ١٧١، ١٧٢، رقم ١٨٣ وفيه مصادر ترجمته.

(٢) انظر عن (مُصْعب بن سعد) في: تاريخ الإسلام (١٠١ ـ ١٢٠ هـ). ص ٢٥٩ رقم ٢٤١ وفيه مصادر ترجمته.

(٣) انظر عن (يحيى بن وثّاب) في: تاريخ الإسلام (١٠١ ـ ١٢٠ هـ). ص ٢٧٤، ٢٧٥ رقم ٢٦٦ وفيه مصادر ترجمته.

(٤) انظر عن (عبد العزيز بن حاتم) في: تاريخ خليفة ٣٢٩.

١٠٤
ثم دخلت سنة أربع ومائة

ذكر الوقعة بين الحَرَشيّ والصُّغْد

قيل: وفي هذه السنة غزا الحَرَشيُّ فقطع النهر، وسار فنزل في قصر الريح على فرسخين من الدَّبُوسِيَة، ولم يجتمع إليه جُنْده، فأمر بالرحيل، (فقال له هلال بن عُلَيْم الحنظليّ: يا هناه، إنّك وزيراً خيرٌ منك أميراً، لم يجتمع إليك جُنْدك وقد أمرتَ بالرحيل)[١]. فعاد فأمر[٢] بالنزول، وأتاه ابن عمّ ملك فَرغانة فقال له: إنّ أهل الصُّغْد بخُجَنْدة، وأخبره بخبرهم، وقال: عاجلْهم قبل أن يصلوا إلى الشِّعب، فليس لهم جوار علينا حتّى يمضي الأجل. فوجّه معه عبد الرحمن القُشَيْريّ، وزياد بن عبد الرحمن في جماعة، ثمّ ندِم بعدما فصلوا وقال: جاءني عِلجٌ لا أعلم أصدق أم كذب، فغرَّرت بجُندٍ من المسلمين؛ فارتحل في أثرهم حتّى نزل أُشْروسَنَة، فصالحهم بشيءٍ يسير.

فبينا هو يتعشّى إذ قيل[٣] له هذا عطاءُ الدبوسيّ، وكان مع عبد الرحمن، فسقطت اللُّقمة من يده، ودعا بعطاء فقال: ويلك قاتلتم أحداً؟ قال: لا. قال: لله الحمد! وتعشّى وأخبره بما قدِم له، فسار مسرعاً حتّى لحِق القشيريّ بعد ثلاثة أيام، وسار فلمّا انتهى إلى خُجندة قال له بعض أصحابه: ما ترى؟ قال: أرى المعاجلة[٤]. قال: لا أرى ذلك، إن جُرح رجل فإلى أين يرجع، أو قُتل قتيل فإلى مَنْ يُحْمَل؟ ولكنّي أرى النزول والتأنّي والإستعداد للحرب. فنزل فأخذ في التأهّب، فلم يخرج أحد من العدوّ، فجبّن الناسُ الحرشيَّ وقالوا: كان يُذْكَر بشجاعة وديانة، فلمّا صار بخراسان[٥] ماق. فحمل رجل من العرب فضرب باب خُجَندة بعمود ففُتح الباب، وكانوا حفروا في رَبَضهم وراء الباب الخارج خندقاً، وغطّوه بقصبٍ وتراب مكيدةً، وأرادوا إذا التقوا إن انهزموا كانوا قد

---

(١) ما بين القوسين من (ر).
(٢) في الأوربية: «أمر».
(٣) في طبعة صادر ١٠٧/٥ «إذ أقبل»، والتحرير عن الطبري ٧/٧.
(٤) في الأوربية: «العاجلة».
(٥) في الأوربية: «بالعراق».

عـرفوا الـطريق، ويشكل على المسلمين ويسقـطون في الخندق، فلمّـا خرجـوا قـاتلوهم فانهزموا، وأخطأهم الطريق فسقطوا في الخنـدق، وأخرج منهم المسلمـون أربعين رجلاً. وحصرهم الحَرَشيّ ونصب عليهم المجانيق. فأرسلوا إلى ملك فَرغانة: إنّك غـدرتَ بنا، وسألوه أن ينصـرهم، فقال: قـد أتوكم قبـل انقضاء الأجـل، ولستم في جِواري. فـطلبوا الصلح وسألوا الأمان، وأن يردّهم إلى الصُّغد، واشترط عليهم أن يردّوا ما في أيـديهم من نسـاء العرب وذراريهم، وأن يؤدّوا مـا كسروا من الخـراج، ولا يغتالـوا أحداً، ولا يتخلّف منهم بخُجَنْدة أحد، فإن أحدثوا حَدَثاً حلّتْ دماؤهم.

فخـرج إليهم الملوك والتُّجّار من الصُّغْـد، وترك أهـل خُجَنْدة على حـالهم، ونـزل عظماء الصُّغد على الجُند الذين يعرفونهم، ونزل كارزنج على أيّوب بن أبي حسّان. وبلغ الحَرَشيَّ أنّهم قتلوا امرأة ممّنْ كان في أيديهم، فقـال: بلغني أنّ ثابتـاً قتل امـرأة ودفنها، فجحد، فسأل فإذا الخبر صحيحٌ، فدعا بثابت إلى خيمته فقتله، فلمّا سمع كارزنـج بقتله خاف أن يُقْتَل، وأرسل إلى ابن أخيه ليأتيه بسراويل، وكان قد قـال لابن أخيه: إذا طلبتُ سراويل فاعلمْ أنه القتل، فبعث به إليـه، وخرج واعتـرض الناس فقتـل ناسـاً، وتضعضع العسكر ولقوا منه شرّاً، وانتهى إلى ثابت بن عثمان بن مسعود، فقتله ثابت.

وقتـل الصُّغْد أسـرى عندهم من المسلمين مـائة وخمسين رجـلًا، فأُخبْـر الحَـرَشيّ بـذلك، فسـأل فرأى الخبـر صحيحاً، فـأمر بقتلهم وعزل التُّجار عنهم، فقـاتلهم الصُّغْـد بـالخشب، ولم يكن لهم سلاح، فقُتلوا عن آخـرهم، وكانـوا ثلاثـة آلاف، وقيل: سبعـة آلاف، واصطفى أموال الصُّغد وذراريهم، وأخذ منهـا ما أعجبـه، ثمّ دعا مسلمَ بن بُـدَيْل العدويّ عديّ الرباب وقـال: ولّيتك المقسم. فقـال: بعدمـا عمل فيـه عمّالـك ليلة! ولِّهِ غيـري، فولّاه غيـره. وكتب الحُرَشي إلى يـزيد بن عبـد الملك، ولم يكتب إلى عمـر بن هُبَيْرة، فكان هذا ممّا أوغر صدره عليه. وقال ثابت قُطْنة يذكر ما أصابوا من عظمائهم:

أقـرّ العينَ مَصـرعُ كـارزنـج [1] وكشكيـر [2] ومـا لاقى يـبـادُ [3]
وديـوشتى [4] ومـا لاقى خلنـجٌ [5] بحِصنِ خُجَنْـد إذ دَمَـرُوا فبـادوا [6]

(١) في (ر): «كازرنج».
(٢) الطبري ٧/١٠ : «وكشِّين»: ويروى: «كشكيش».
(٣) في الأوربية: «بياد»، والطبري: «يبار».
(٤) الطبري: «وديْواشْنى».
(٥) الطبري: «جلنج».
(٦) الطبري: «فباروا».

يقال: إنّ ديوشتى[1] دِهقان سمرقند، واسمه ديو أشنج فأعربوه. وقيل: كان على أقباض خُجَندة عِلْباء بن أحمر اليشكريّ، فاشترى رجل منهم جُونة بدرهمَيْن، فوجد فيها سبائك ذهب، فرجع وقد وضع يده على وجهه كأنّه رمد، فردّ الجونة، وأخذ الدّرْهمَيْن، فطُلب فلم يُعرف.

وسرّح الحَرَشيُّ سليمانَ بن أبي السّريّ إلى حصنٍ يُطيف به وادي الصُّغْد إلّا من[2] وجهٍ واحد، ومعه خُوارزمشاه، وصاحب آخرون، وشُومان، فسيّر سليمان على مقدّمته المسيَّبَ بن بِشْر الرياحيّ، فتلقّوه على فرسخ، فهزمهم حتّى ردّهم إلى حصنهم فحصرهم، فطلب الديوشتى أن ينزل على حكم الحَرَشيّ، فسيّره إليه فأكرمه، وطلب أهل القلعة الصلح على أن لا يتعرّض لنسائهم وذراريهم ويُسْلمون القلعة. فبعث سليمان إلى الحَرَشيّ ليبعث الأمناء لقبض ما في القلعة، فبعث مَنْ قبضه وباعوه وقسموه.

وسار الحَرَشيّ إلى كِشّ، وصالحوه على عشرة آلاف رأس، وقيل ستّة آلاف رأس. وسار إلى زرنج[3]، فوافاه كتاب ابن هُبيرة بإطلاق ديوشتى، فقتله وصلبه، وولّى نصر بن سَيّار قَبْض صُلح كِشّ، واستعمل سليمانَ بن أبي السريّ على كِشّ ونَسَف حربها وخراجها. وكانت خزائن منيعة، فقال المجشّر للحَرَشيّ: ألا أدلُّك على مَنْ يفتحها لك بغير قتال؟ قال: بلى. قال: المُسَرْبَل بن الخِرّيت بن راشد النّاجيّ، فوجّهه إليها، وكان صديقاً لملكها، واسم الملك سُبُقْرى[4]، فأخبر الملكَ بما صنع الحَرَشيّ بأهل خُجَندة وخوّفه، قال: فما ترى؟ قال: أن تنزل بأمان. قال: فما أصنع بمَنْ لحق بي؟ قال: تجعلهم في أمانك؛ فصالحهم فآمنوه وبلاده، ورجع الحرشيّ إلى بلاده ومعه سُبُقرى[4]، فقُتل سُبُقرى[4] وصُلب ومعه الأمان[5].

ذكر ظفر الخَزَر بالمسلمين

في هذه السنة دخل جيشٌ للمسلمين بلادَ الخزر من أرمينية، وعليهم ثُبَيْت النّهرانيّ، فاجتمعت الخزر في جمعٍ كثير، وأعانهم قُفْجاق وغيرهم من أنواع الترك، فلَقوا المسلمين في مكان يُعْرَف بمرجِ الحجارة، فاقتتلوا هنالك قتالاً شديداً، فقُتل من المسلمين بشر كثير، واحتوت الخزر على عسكرهم، وغنِموا جميع ما فيه، وأقبل

(١) الطبري: «ديوا شنى».
(٢) في الأوربية: «عن».
(٣) في (ر): «زنجن».
(٤) في طبعة صادر ٥/١١٠: «سبغري»، وفي (ب): «شيفرى»، والمثبت من (ر) والطبري ١١/٧.
(٥) الطبري ٧/٧ ـ ١٢، وانظر: الفتوح لابن أعثم ٢٦/٨، ٢٧.

المنهزمون إلى الشام فقدِموا على يزيد بن عبد الملك وفيهم ثُبَيْت، فوبّخهم يزيد على الهزيمة فقال: يا أمير المؤمنين ما جبنتُ ولا نكبت عن لقاء العدوّ، ولقد لصقت[1] الخيل بالخيل والرجل بالرجل، ولقد طاعنتُ حتّى انقصف رُمحي، وضاربتُ حتّى انقطع سيفي، غير أنّ الله، تبارك وتعالى، يفعل ما يريد[2].

ذكر ولاية الجرّاح أرمينية وفتح بَلَنْجَر وغيرها

لمّا تمّت الهزيمة المذكورة على المسلمين طمع الخَزَر في البلاد، فجمعوا وحشدوا، واستعمل يزيدُ بن عبد الملك الجرّاحَ بن عبد الله الحَكَميّ حينئذٍ على أرمينية، وأمدّه بجيشٍ كثيف، وأمره بغزو الخزر وغيرهم من الأعداء، وبقصد[3] بلاده. فسار الجرّاح، وتسامع الخزريّة، فعادوا حتّى نزلوا بالباب والأبواب، ووصل الجرّاح إلى بَرْذعة، فأقام حتّى استراح هو ومَنْ معه، وسار نحو الخزر، فعبر نهر الكرّ، فسمع بأنّ بعض مَنْ معه من أهل تلك الجبال قد كاتب ملك الخزر يُخْبره بمسير الجرّاح إليه، فحينئذ أمر الجرّاحُ مناديَه فنادى في الناس: إنّ الأمير مقيم ها هنا عدّة أيّام، فاستكثِروا من الميرة؛ فكتب ذلك الرجل إلى ملك الخزر يُخبْره أنّ الجرّاح مقيم، ويُشير عليه بترك الحركة لئلا يطمع المسلمون فيه.

فلمّا كان الليل أمر الجرّاح بالرحيل، فسار مُجِدّاً حتّى انتهى إلى مدينة الباب والأبواب، فلم ير الخزر، فدخل البلد فبثّ سراياه في النهب والغارة على ما يجاوره، فغنموا وعادوا من الغد، وسار الخزر إليه وعليهم ابن ملكهم، فالتقوا عند نهر الران[4]، واقتتلوا قتالاً شديداً، وحرّض الجرّاح أصحابه، واشتدّ القتال، فظفروا بالخزر وهزموهم، وتَبِعهم المسلمون يقتلون ويأسرون، فقُتل منهم خلق كثير، وغنم المسلمون جميعَ ما معهم، وساروا حتّى نزلوا على حصن يُعْرَف بالحُصَيْن، فنزل أهله بالأمان على مال يحملونه، فأجابهم ونقلهم عنها.

ثمّ سار إلى مدينة يقال لها يرغوا[5]، فأقام عليها ستّة أيّام، وهو مُجِدّ في قتالهم، فطلبوا الأمان، فآمنهم وتسلّم حصنهم ونقلُهم منه.

ثمّ سار الجرّاح إلى بَلَنْجَر، وهو حصن مشهور من حصونهم، فنازله، وكان أهل

---

(١) في الأوربية: لعقت.

(٢) الخبر في الفتوح لابن أعثم ٢٨/٨، ٢٩.

(٣) في الأوربية: «ويقصد».

(٤) في (ب): «الزاب».

(٥) في نسخة بودليان: «بُرغر»، وفي (ب): «برعوا».

الحصن قد جمعوا ثلاثمائة عَجَلَة، فشدّوا بعضها إلى بعض، وجعلوها حول حصنهم ليحتموا بها، وتمنع المسلمين من الوصول إلى الحصن، وكانت تلك العجل أشدّ شيء على المسلمين في قتالهم. فلمّا رأوا الضّرر الذي عليهم منها انتدب جماعةٌ منهم نحو ثلاثين رجلاً، وتعاهدوا على الموت، وكسّروا جفون سيوفهم، وحملوا حملة رجلٍ واحد، وتقدّموا نحوالعجل، وجدّ الكفّار في قتالهم، ورموا من النشّاب ما كان يحجب الشمس، فلم يرجع أولئك حتّى وصلوا إلى العجل وتعلّقوا ببعضها، وقطعوا الحبل الّذي يمسكها، وجذبوها فانحدرت، وتبعها سائر العجل، لأنّ بعضها كان مشدوداً إلى بعض، وانحدر الجميع إلى المسلمين، والتحم القتالُ واشتدّ، وعظُم الأمرُ على الجميع حتّى بلغت القلوب الحناجر. ثمّ إنّ الخزر انهزموا واستولى المسلمون على الحصن عَنوةً، وغنموا جميعَ ما فيه في ربيع الأوّل، فأصاب الفارس ثلاثمائة دينار، وكانوا بضعة وثلاثين ألفاً.

ثمّ إنّ الجرّاح أخذ أولاد صاحب بَلَنْجَر وأهله، وأرسل إليه فأحضره، وردّ إليه أمواله وأهله وحصنه، وجعله عيناً لهم يُخبْرهم بما يفعله الكفّار.

ثمّ سار عن بلنجر فنزل على حصن الوبندر[1]، وبه نحو أربعين ألف بيت من التُّرْك، فصالحوا الجرّاح على مالٍ يؤدّونه. ثمّ إنّ أهل تلك البلاد تجمّعوا، وأخذوا الطرق على المسلمين، فكتب صاحب بلنجر إلى الجرّاح يُعْلمه بذلك. فعاد مُجِدّاً حتى وصل إلى رستاق ملي، وأدركهم الشتاء، فأقام المسلمون به، وكتب الجَرّاح إلى يزيد بن عبد الملك يُخْبره بما فتح الله عليه، وبما اجتمع من الكفّار ويسأله المدد. فوعده إنفاذ العساكر إليه، فأدركه أجله قبل إنفاذ الجيش، فأرسل هشام بن عبد الملك إلى الجرّاح، فأقرّه على عمله ووعده المدد[2].

ذكر عزل عبد الرحمن بن الضَّحّاك عن المدينة ومكّة

وفي هذه السنة عزل يزيدُ بن عبد الملك عبدَ الرحمن بن الضّحّاك عن المدينة ومكّة، وكان عامله عليهما ثلاث سنين، وولّى عبد الواحد النُّضْريّ.

وكان سبب ذلك أنّ عبد الرحمن خطب فاطمة بنت الحسين بن عليّ فقالت: ما أريد النكاح، ولقد قَعدتُ[3] على بَنيّ هؤلاء. فألحّ عليها وقال: لئن لم تفعلي لأجلدنّ أكبر بنيك في الخمر، يعني عبد الله بن الحسن بن الحسين بن عليّ، وكان على الدّيوان

---

(١) في (ر): «الربنور».
(٢) الخبر بطوله في: الفتوح لابن أعثم ٢٩/٨ - ٣٥.
(٣) في طبعة صادر ١١٣/٥: «معدن»، والمثبت عن (ر) والطبري ١٢/٧، ونهاية الأرب ٣٩٥/٢١.

بالمدينة ابن هُرْمز، رجل من أهل الشام، وقد رفع حسابه ويريد أن يسير إلى يزيد، فدخل على فاطمة يودّعها [فقال: هل من حاجة؟] فقالت: تُخبِر أميرَ المؤمنين بما ألقى من ابن الضحّاك، وما يتعرّض منّي؛ وبعثتْ رسولاً بكتاب إلى يزيد يُخْبره بذلك.

وقدِم ابنُ هرمز على يزيد، فاستخبره عن المدينة وقال: هل من مُغَرِّبة خبر؟ فلم يذكر شأن فاطمة. فقال الحاجب ليزيد: بالباب رسول من فاطمة بنت الحسين. فقال ابن هرمز: إنّها حمّلتْني رسالةً. وأخبره بالخبر. فنزل من فراشه وقال: لا أمّ لك! عندك هذا ولا تُخبْرنيه؟ فاعتذر بالنسيان؛ وأذِن لرسولها فأدخله، وأخذ الكتاب فقرأه، وجعل يضرب بخيزُرانٍ في يده ويقول: لقد اجترأ ابن الضّحّاك، هل من رجل يُسْمعني صوته في العذاب؟ قيل له: عبد الواحد بن عبد الله النَّضْري. فكتب بيده إلى عبد الواحد: قد ولّيتُك المدينةَ، فاهبطْ إليها، واعزلْ عنها ابنَ الضحّاك، وأغرِمْه أربعين ألف دينار، وعذّبْه حتّى أسمع صوته وأنا على فراشي.

وسار البريد بالكتاب، ولم يدخل على ابن الضّحّاك، فأُخْبِر ابنُ الضّحّاك، فأحضر البريد، وأعطاه ألف دينار ليُخبْره خبره، فأخبره، فسار ابنُ الضّحّاك مُجِدّاً، فنزل على مَسْلمة بن عبد الملك فاستجاره، فحضر مَسلمةُ عند يزيد، فطلب إليه حاجةَ خاله، فقال: كلّ حاجةٍ فهي لك إلّا ابن الضّحّاك. فقال: هي واللّهِ ابن الضحّاك. فقال: والله لا أعفيه أبداً. وردّه إلى المدينة إلى عبد الواحد، فعذّبه ولقي شرّاً، ثمّ لبس جبّةَ صوف يسأل الناسَ.

وكان قدوم النضريّ في شوّال سنة أربعٍ ومائة. وكان ابن الضّحّاك قد آذى الأنصارَ طُرّاً، فهجاه الشعراء وذمّه الصالحون، ولمّا وليهم النَّضْريّ أحسن السيرة فأحبّوه، وكان خيّراً يستشير فيما يريد فِعْله القاسمَ بن محمّد، وسالمَ بن عبد الله بن عمر(١).

ذكر ولادة أبي العبّاس السفّاح

وقيل: وفيها وُلد أبو العبّاس عبد الله بن محمّد بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس...

وقيل: وفيها وُلد أبو العبّاس عبد الله بن محمّد بن عليّ بن محمّد بن عليّ في ربيع الآخر، وهو السفّاح، ووصل إلى أبيه محمّد بن عليّ أبو محمّد الصادق من خراسان في عدّةٍ من أصحابه، فأخرج إليهم أبا العبّاس في خرقة، وله خمسة عشر يوماً وقال لهم: هذا صاحبكم الذي يتمّ الأمرُ على يده، فقبّلوا أطرافه، وقال لهم: والله ليُتمّنّ الله هذا الأمر حتّى تدركوا ثأركم من عدوّكم(٢).

---

(١) الطبري ١٢/٧ - ١٤، نهاية الأرب ٢١/٣٩٥ - ٣٩٧.

(٢) الطبري ١٤/٧، ١٥.

ذكر عزل سعيد الحَرَشيّ

وفي هذه السنة عزل عمر بن هُبَيْرة سعيداً الحَرَشيّ عن خُراسان، وولّاها مسلمَ بن سعيد بن أسلم بن زُرْعَة الكلابيّ.

وكان السبب في ذلك ما كان كتبه ابنُ هبيرة إلى الحَرَشيّ بإطلاق الديوشتى[1] فقتله، وكان يستخفّ بابن هبيرة ويَذْكُرُه بأبي المثنّى، [ولا يقول الأمير]، فيقول: [قال] أبو المثنّى، (وفعل أبو المثنّى، فبلغ ذلك ابنَ هبيرة، فأرسل جُمَيْل بن عِمْران ليعلم حال الحَرَشيّ، وأظهر أنّه ينظر في الدواوين، فلمّا قدِم على الحَرَشيّ قال: كيف أبو المثنّى)[2]؟ فقيل له: إنّ جُمَيْلاً لم يَقْدَم إلّا ليعلم علمك[3]. فسَمّ بِطّيخة وبعث بها إليه، فأكلها ومرض، وسقط شعره، ورجع إلى ابن هُبيرة، وقد عولج فصحّ، فقال له: الأمر أعظم ممّا بلغك، ما يرى الحَرَشيّ إلّا أنّك عامل له؛ فغضب وعزله، ونفح في بطنه النمل، وعذّبه حتّى أدّى الأموال[4].

وسَمَر ليلةً ابن هبيرة فقال: مَنْ سيّد قيس؟ فقالوا: الأمير. قال؛ دَعوا هذا، سيّد قيس الكوثر بن زُفَر، لو ثوّر بليل لوافاه عشرون ألفاً لا يقولون لِمَ دعوتنا، وفارسها هذا الحمار الذي في الحبس، وقد أمرتُ بقتله، يعني الحَرَشيّ، فأمّا خير قيس لها فعسى[5] أن أكونه. فقال له أعرابيّ من بني فَزارة: لو كنتَ كما تقول ما أمرتَ بقتل فارسها. فأرسل إلى مَعقِل بن عُرْوَة أن كفّ عن قتله، وكان قد سلّمه إليه ليقتله، (وكان ابن هُبيرة لمّا ولّى مسلم بن سعيد خُراسان أمره بأخذ الحَرَشيّ وتقييده)[6] وإنفاذه إليه، فقدِم مسلم دار الإمارة، فرأى الباب مغلقاً، فقيل للحَرَشيّ: قدِم مسلم، فأرسل إليه: أقدِمْتَ أميراً أو وزيراً أو زائراً؟ فقال: مثلي لا يَقْدَم زائراً ولا وزيراً. فأتاه الحَرَشيّ فشتمه وقيّده وأمر بحبْسه، ثم أمر صاحب الحبْس أن يزيده قيداً، فأُخبر الحَرَشيّ بذلك، فقال لكاتبه: اكتبْ إليه إنّ صاحب سجنك ذكر أنّك أمرتَهُ أن يزيدني قيداً، فإن كان أمراً ممّنْ فوقك فسمعاً وطاعة، وإن كان رأياً رأيتَهُ فسيرك الحَقْحَقَة[7]! وهي أشدّ السير؛ وتمثّل:

---

(١) الطبري ٧/١٥: «الديواشنى».

(٢) ما بين القوسي من (ر).

(٣) في (ب): «عملك».

(٤) الطبري ٧/١٥، ١٦، العيون والحدائق ٣/٨٤ وفيه: نفخ في دُبره بكير، نهاية الأرب ٢١/٣٩٧.

(٥) في (ب): «فيسعني».

(٦) ما بين القوسين من (ر).

(٧) الحقحقة: أرفع السير وأتعبه للظهر.

فـإمّـا تَـثْـقَـفُـوني فـاقـتـلونـي   ومَـنْ يـثـقـفْ[1] فـليس لـه خُـلُودُ
هُم الأعـداءُ إن شهـدوا وغـابـوا   أُولـو الأحقـاد والأكبـادُ سـودُ[2]

فلمّا هرب ابنُ هُبيرةٍ عن العراق أرسل خالدُ القَسْريّ في طلب الحَرَشيّ، فأدركه على الفرات، فقال: ما ظنّك بي؟ قال: ظنّي بك أنّك لا تدفع رجلاً من قومك إلى رجلٍ من قيس. فقال: هو ذاك.

ذكر عدّة حوادث

وحجّ بالناس هذه السنة عبد الواحد بن عبد الله النَّضْري[3].
وعلى العراق والمشرق: عمر بن هُبيرة. وعلى قضاء الكوفة: حسين بن حسن الكنديّ. وعلى قضاء البصرة: عبد الملك بن يَعْلَى[4].

[الوَفَيات]

وفيها مات أبو قلابة الجَرْميّ[5]، وقيل سنة سبع ومائة.

وعبد الرحمن بن حسّان[6] بن ثابت الأنصاريّ.

وفيها توفّي يحيى بن عبد الرحمن[7] بن حاطب بن أبي بَلْتَعة.

---

(١) الطبري ٧/١٩: «فمن أثقف».

(٢) زاد الطبري بيتاً:

أريغوني إراغتكُمْ فإنّي   وحَذْفَةَ كالشجا تحت الوريد

(٣) تاريخ خليفة ٣٣٠ وفيه: «النصري نصر بن معاوية»، المحبّر ٢٨ وفيه «النصري» أيضاً، تاريخ اليعقوبي ٢/٣١٤ (النضري)، الطبري ٧/٢٠ (النضري)، مروج الذهب ٤/٣٩٩ (النصري)، تاريخ العظيمي ٢٠٢ (النضري)، نهاية الأرب ٢١/٢٩٧ (النضري)، البداية والنهاية ٩/٢٣٠ (النضري)، النجوم الزاهرة ١/٢٥٤.

(٤) الطبري ٧/٢٠، النجوم الزاهرة ١/٢٥٤ وفي خبره نقص، ففيه: «... وكان على قضاء الكوفة حسين بن حسن الكندي، وعلى قضاء البصرة أبو قلابة الجرمي»، وهذا وهْم، والصواب: «وكان على قضاء الكوفة حسين بن حسن الكندي، وعلى قضاء البصرة عبد الملك بن يعلى. وفيها مات أبو قلابة الجرمي»، فليُصحَّح.

(٥) انظر عن (أبي قلابة: في: تاريخ الإسلام (١٠١ - ١٢٠ هـ). ص ٢٩٥ - ٢٩٨ رقم ٢٩٩ وفيه مصادر ترجمته.

(٦) انظر عن (عبد الرحمن بن حسّان) في: تاريخ الإسلام (١٠١ - ١٢٠ هـ). ص ١٤٥، ١٤٦ رقم ١٣٥ وفيه مصادر ترجمته.

(٧) انظر عن (يحيى بن عبد الرحمن) في: تاريخ الإسلام (١٠١ - ١٢٠ هـ). ص ٢٧٣، رقم ٢٦٤ وفيه مصادر ترجمته.

وفيها مات عامر بن سعد[1] بن أبي وقّاص.

وفيها توفّي موسى بن طلحة[2] بن عُبيد الله.

وعُمَيْر مولى ابن عبّاس[3] يكنّى أبا عبد الله.

وخالد بن مَعْدان[4] بن أبي كَرِب الكلاعيّ، سكن الشام.

---

(١) انظر عن (عامر بن سعد) في: تاريخ الإسلام (١٠١ - ١٢٠ هـ). ص ١٢٣ رقم ١٠٥ وفيه مصادر ترجمته.

(٢) انظر عن (موسى بن طلحة) في: تاريخ الإسلام (١٠١ - ١٢٠ هـ). ص ٢٦٥، ٢٦٦ رقم ٢٥٥ وفيه مصادر ترجمته.

(٣) انظر عن (عُمير مولى ابن عباس) في: تاريخ الإسلام (١٠١ - ١٢٠ هـ). ص ٢٠٩ رقم ٢٠٣ وفيه مصادر ترجمته.

(٤) انظر عن (خالد بن معدان) في: تاريخ الإسلام (١٠١ - ١٢٠ هـ). ص ٧١ - ٧٣ رقم ٥٣ وفيه مصادر ترجمته.

١٠٥
ثم دخلت سنة خمسٍ ومائة

ذكر خروج عُقْفان[١]

في أيّام يزيد بن عبد الملك خرج حَرُوريّ اسمه عُقْفان في ثمانين[٢] رجلاً، فأراد يزيد أن يرسل إليه جُنداً يقاتلونه، فقيل له: إن قُتل بهذه البلاد اتّخذها الخوارج دار هجرة، والرأي أن تبعث إلى كلّ رجلٍ من أصحابه رجلاً من قومه يكلّمه ويردّه. ففعل ذلك. فقال لهم أهلوهم: إنّا نخاف أن نؤخذ بكم. وأُومنوا وبقي عُقفان وحده، فبعث إليه يزيد أخاه، فاستعطفه فردّه، فلمّا وليَ هشام بن عبد الملك ولّاه أمر العُصاة، فقدِم ابنُه من خُراسان غاضباً، فشدّه وثاقاً وبعث به إلى هشام، فأطلقه لأبيه وقال: لو خاننا عُقفان لكتم[٣] أمر ابنه. واستعمل عُقفان على الصَّدقة، فبقي عليها إلى أن تُوفّي هشام[٤].

ذكر خروج مسعود العبديّ

وخرج مسعود بن أبي زينب العبديّ بالبحرَيْن على الأشْعث بن عبد الله بن الجارود، ففارق الأشعثُ البحرين، وسار مسعود إلى اليمامة، وعليها سفيان بن عَمْرو العُقَيْليّ، ولّاه إيّاها عمر بن هُبيرة، فخرج إليه سفيان، فاقتتلوا بالخِضْرمة قتالاً شديداً، فقُتل مسعود، وقام بأمر الخوارج بعده هلال بن مُدْلج، فقاتلهم يومه كلَّه، فقُتل ناس من الخوارج، وقُتلت زينب أخت مسعود، فلمّا أمسى هلال تفرّق عنه أصحابه، وبقي في نفرٍ يسير، فدخل قصراً فتحصّن به، فنصبوا عليه السلاليم، وصعدوا إليه فقتلوه، واستأمن أصحابه فآمنهم[٥]، وقال الفرزدق في هذا اليوم:

---

(١) العنوان من (ر).

(٢) في (ر): «ثلاثين».

(٣) في(ب): «لكنتم»، وفي الأوربية: «لكم».

(٤) نهاية الأرب ٢١/٣٩٧، ٣٩٨.

(٥) نهاية الأرب ٢١/٣٩٨.

لَعَمْـري لقـد سلّت حنيفـةُ سلّةً سيوفـاً أبتْ يـوم الـوَغى أن تغيّـرا

تـركـن لمسعـود وزيـنب أختـه رداءً وسِربـالاً من المـوت أحمرا

أرين الحَـرُوريّـين يـوم لـقـائهـم ببرقان يوماً يجعل الموت[1] أشقـرا

وقيل: إنّ مسعوداً غلب على البحرَيْن واليمامة تسع عشرة سنة حتّى قتله سُفيان بن عَمْرو العُقَيليّ.

(الخِضْرِمة: بكسر الخاء وسكون الضّاد المعجمتَيْن، وكسر الراء)[2].

ذكر مُصْعَب بن محمّد الوالبيّ

كان مُصْعَب من رؤساء الخوارج، وطلبه عمر بن هُبَيْرة، وطلب معه مالك بن الصعب وجابر بن سعد، فخرجوا واجتمعوا بالخَوَرْنَق، وأمّروا عليهم مُصْعباً، ومعه أخته آمنة، وساروا عنه. فلمّا وليَ هشام بنُ عبد الملك، واستعمل على العراق خالداً القَسْريّ سيّر إليهم جيشاً، وكانوا قد صاروا بحَزّة من أعمال الموصل، فالتقوا واقتتلوا، فقُتل الخوارج[3]، وقيل: كان قتلهم آخر أيّام يزيد بن عبد الملك، فقال فيهم بعض الشعراء:

فِتيـةٌ تعـرفُ التَّـخَشُّـعَ[4] فيهـم كـلّهـم أحكـم الـقـرانَ إمـامـا

قـد بـرى لحمَـه التّهجُّـدُ حتّى عـاد جلداً مـصـفّـراً وعـظامـا

غـادروهم بِقـاعِ حَـزّةَ صـرعَـى فسقى الغيثُ أرضَـهم يـا إمـامـا

ذكر موت يزيد بن عبد الملك

وفي هذه السنة توفّي يزيد بن عبد الملك لخمسٍ بقين من شعبان، وله أربعون سنة، وقيل: خمسٌ وثلاثون سنة، وقيل غير ذلك، (وكانت ولايته أربع سنين وشهراً وأياماً)[5]. وكنيته أبو خالد، وكان مرضه السّلّ.

وقيل: كان سبب موته أنّ حَبَابة لمّا ماتت وجد عليها وجْداً شديداً، على ما نذكره إن شاء الله تعالى، فخرج مشيّعاً لجنازَتها ومعه أخوه مَسْلمة بن عبد الملك ليسلّيه ويعزّيه، فلم يُجِبْه بكلمة. وقيل: إنّ يزيد لم يُطِق الركوبَ من الجزع، وعجز عن المشي، فأمر

---

(١) في (ب): «الجون».

(٢) ما بين القوسين من (ب).

(٣) نهاية الأرب ٣٩٨/٢١، ٣٩٩.

(٤) في (ب): «التجشع».

(٥) ما بين القوسين من (ر).

مَسْلمة فصلّى عليها، وقيل: منعه مَسلمة عن ذلك لئلاّ يرى الناس منه ما يعيبونه به. فلمّا دُفنت بقي بعدها خمسة عشر يوماً، ومات ودُفن إلى جانبها، وقيل: بقي بعدها أربعين يوماً، لم يدخل عليه أحد إلاّ مرّة واحدة، ولمّا مات صلّى عليه أخوه مَسْلمة، وقيل: ابنه الوليد، وكان هشام بن عبد الملك بحِمْص[1].

ذكر بعض سيرته

كان يزيد من فِتيانهم، فقال يوماً وقد طرِب وعنده حَبَابة وسلاّمة القَسّ: دَعوني أطير. قالت حَبَابة: على مَنْ تَدَع الأمّة؟ قال: عليك. قيل وغنّته يوماً:

وبين التَّراقي واللَّهاةِ حَرارةٌ ... ما تطمئنّ وما تسوغُ فتَبْردا[2]

فأهوى ليطير، فقالت: يا أمير المؤمنين إنّ لنا فيك حاجة. فقال: والله لأطيرنّ! فقالت: على من تخلّف الأمّة والمُلْك[3]؟ قال: عليكِ والله! وقبّل يدها؛ فخرج بعض خَدَمه وهو يقول: سخنتْ عينك فما أسخفك[4]!.

وخرجت معه إلى ناحية الأردنّ يتنزّهان، فرماها بحبّة عنب، فدخلت حلْقها، فشرقت ومرضت وماتت، فتركها ثلاثة أيام لم يدفنْها، حتّى أنتنت، وهو يشمّها ويقبّلها وينظر إليها ويبكي، فكُلّم في أمرها حتّى أذِن في دفْنها، وعاد إلى قصره كئيباً حزيناً، وسمع جاريةً له تتمثّل بعدها:

كفَى حَزَناً بالهائم الصَّبّ أن يرى ... منازلَ مَن يهوى مُعطَّلةً قَفْرا

فبكى، وبقي يزيد بعد موتها سبعة أيّام لا يظهر للناس، أشار عليه مَسْلمة بذلك، وخاف أن يظهر منه ما يسفّهه عندهم[5].

وكان يزيد قد حجّ أيّام أخيه سليمان، فاشترى حَبَابةَ بأربعة آلاف دينار، وكان

---

(١) الطبري ٢١/٧، ٢٢، وانظر عنه في: تاريخ الإسلام (١٠١ ـ ١٢٠ هـ). ص ٢٧٩ ـ ٢٨٢ رقم ٢٧٤ وفيه مصادر ترجمته.

(٢) الطبري ٢٣/٧: «فتبرد»، ومثله في: الفخري ١٣١، وفي العيون والحدائق ٧٦/٣: «مكان الشّجا ما تطمئنّ فتبرد».

(٣) العيون والحدائق ٧٦/٣، ٧٧.

(٤) في (ر): «أسمعتك»، و(ب): «انخفك»، والخبر في: العيون والحدائق ٧٧/٣، والفخري ١٣١، وتاريخ مختصر الدول ١١٥.

(٥) الطبري ٢٤/٧، وانظر: تاريخ الإسلام (١٠١ - ١٢٠ هـ). ص ٢٨١، والبدء والتاريخ ٤٨/٦، ٤٩، ومآثر الإنافة ١٤٥/١، ١٤٦، والعيون والحدائق ٧٨/٣ و ٧٩ وفيه: «كفى حزناً للهائم»، ونهاية الأرب ٣٩٩/٢١، ٤٠٠.

اسمها العالية[١]، وقال سليمان: لقد هممتُ أن أحجر على يزيد، فردّها يزيد، فاشتراها رجل من أهل مصر، فلمّا أفضت الخلافةُ إلى يزيد قالت امرأته سُعْدة: هل بقي من الدّنيا شيء تتمنّاه؟ قال: نعم، حَبَابة، فأرسلت فاشترتها، ثمّ صيّغتها[٢]، وأتت بها يزيدَ، فأجلستها من وراء الستر وقالت: يا أمير المؤمنين هل بقي في الدّنيا شيء تتمنّاه؟ قال: قد أعلمتُكِ. فرفعتِ السترَ وقالت: هذه حَبَابة، وقامت وتركتها عنده[٣]، فحظيت سُعْدة عنده وأكرمها. وسُعْدة بنت عبد الله بن عَمْرو بن عثمان. ولمّا مات يزيد لم يُعلم بموته حتّى ناحت سَلاّمة فقالت:

لا تَلُمْنا إن خَشِعْنا	أو هَمَمْنا بخُشوعِ[٤]
قد لَعَمْري بِتُّ ليلي	كأخي الدّاء الوجيعِ
ثمّ بات[٥] الهمُّ منّي	دونَ مَنْ لي بضجيعِ[٦]
للّذي حلّ بنا اليَوْ	مَ من الأمر الفظيعِ
كلّما أبصرتُ رَبْعاً	خالياً فاضتْ دمُوعي
قد خلا من سيّدٍ كا	نَ لنا غير مُضيعِ[٧]

ثمّ نادت: وا أمير المؤمنيناه! فعلِموا بموته. والشعر لبعض الأنصار.
وأخبار يزيد مع سَلاّمة وحَبابة كثيرة، ليس هذا موضع ذكرها.

وإنّما قيل لسلاّمة [سلاّمةُ] القسّ، لأنّ عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمّار أحد بني جُشَم بن معاوية بن بُكَير كان فقيهاً عابداً مجتهداً في العبادة، وكان يسمّى القَسّ لعبادته، مرّ يوماً بمنزل مولاها، فسمع غناءها، فوقف يسمعه، فرآه مولاها فقال له: هل لك أن تنظر وتسمع؟ فأبى، فقال: أنا أُقعدها بمكانٍ لا تراها، وتسمع غناءها؛ فدخل معه فغنّته، فأعجبه غناؤها، ثمّ أخرجها مولاها إليه، فشغف بها وأحبّها، وأحبّته هي أيضاً، وكان شابّاً جميلاً. فقالت له يوماً على خلوة: أنا والله أحبّك! قال: وأنا والله أُحبّكِ! قالت:

(١) العيون والحدائق ٣/٧٥.
(٢) الطبري ٧/٢٣: «صنّعتها».
(٣) العيون والحدائق ٣/٧٦، نهاية الأرب ٢١/٤٠٠، تاريخ مختصر الدول ١١٥.
(٤) الطبري، والأغاني: «بالخشوع».
(٥) في (ب): «لم يأتِ».
(٦) الطبري: «من لي من ضجيع». ورواية الأغاني ٨/٣٤٨.
ونجيّ الهمّ منّي بات أدنى من ضلوعي
(٧) الطبري ٧/٢٣، الأغاني ٨/٣٤٦ ـ ٣٤٨ وفيه: «الشعر للأحوص والنَّوْح لمعبد، صنعه لسلاّمة وناحت به على يزيد». وانظر: العيون والحدائق ٣/٨٠ وفيه تقديم وتأخير واختلاف.

وأُحبّ أن أقبّلك! قال: وأنا والله! قالت: وأحب أن أضع بطني على بطنك! قال: وأنا والله! قالت: فما يمنعك؟ قال: قول الله تعالى: ﴿الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾[1]، وأنا أكره أن تؤول خلّتنا إلى عداوة؛ ثمّ قام وانصرف عنها وعاد إلى عبادته[2] وله فيها أشعار، منها:

ألم ترها لا يُبعدِ اللّهُ دارَها ... إذا طرّبتْ[3] في صوتها كيف تصنعُ

تَمُدّ نِظامَ القولِ ثمّ تَرُدّه ... إلى صَلْصَلٍ[4] من[5] صوتها يترجّعُ[6]

وله فيها:

ألا قُلْ لهذا القلبِ هل أنت مُبْصرُ ... وهل أنتَ عن سَلّامةَ اليومَ مُقْصِرُ

ألا ليت أنّي حيث صارتْ بها النّوى ... جليسٌ لسَلْمى كلّما عَجّ[7] مِزْهَرُ[8]

إذا أَخَذَتْ في الصّوت كاد جليسُها ... يطير إليها قلبُه حين ينظرُ

فقيل لها: سلّامة القسّ لذلك.

سلّامة: بتشديد اللام، وحَبابة: بتخفيف الباء الموحّدة)[9].

ذكر خلافة هشام بن عبد الملك

في هذه السنة استُخلف هشام بن عبد الملك لليالٍ بقين من شعبان، وكان عمره يوم استخلف أربعاً وثلاثين سنة وأشهراً، وكانت ولادته عام قُتل مُصْعَب بن الزّبَيْر سنة اثنتَين وسبعين، فسمّاه عبد الملك منصوراً، وسمّته أمّهُ باسم أبيها هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزوميّ، فلم ينكر عبد الملك ذلك. وكانت أمّه عائشة بنت هشام حمقاء، فطلّقها عبدُ الملك[10]. وكانت كنية هشام: أبا الوليد، وأتتْه الخلافة وهو بالرُّصافة[11]، أتاه البريد بالخاتم والقضيب، وسُلّم عليه بالخلافة، فركب منها حتى أتى دمشقَ[12].

---

(١) سورة الزخرف، الآية ٦٧.

(٢) الأغاني ٣٣٥/٨، مآثر الإنافة ١٤٦/١، نهاية الأرب ٤٠٠/٢١، ٤٠١.

(٣) في الأغاني: «إذا رَجَّعَت».

(٤) الصلصلة: ترجيع الصوت.

(٥) الأغاني: «في».

(٦) الأغاني ٣٣٦/٨، نهاية الأرب ٤٠١/٢١.

(٧) في نسخة بودليان: «حج». وعجّ: رفع صوته وصاح.

(٨) حتى هنا في: الأغاني ٣٣٦/٨.

(٩) ما بين القوسين من (ب).

(١٠) العيون والحدائق ٨١/٣، ٨٢، البداية والنهاية ٢٣٣/٩.

(١١) الطبري ٢٥/٧: «بالزيتونة»، وفي البداية والنهاية ٢٣٣/٩: «بالديثونة».

ذكر ولاية خالد القَسْريّ العراق

فيها عزل هشامٌ عمرَ بن هُبَيْرة عن العراق، واستعمل خالدَ بن عبد الله القَسْريّ في شوّال.

قال عمر بن يزيد بن عُمَيْر الأُسَيّديّ: دخلتُ على هشام وخالد عنده، وهو يذكر طاعة أهل اليمن، فقلتُ: والله ما رأيت هكذا خطأً وخَطَلاً، والله ما فُتحت فتنة في الإسلام إلاّ بأهل اليمن، هم قتلوا عثمان، وهم خلعوا عبد الملك، وإنّ سيوفنا لَتَقْطُر من دماء أهل المهلّب. قال: فلمّا قمتُ تبِعَني رجل من آل مروان فقال: يا أخا بني تميم وَرَتْ بك زِنادي، قد سمعتُ مقالتك، وأمير المؤمنين قد ولّى خالداً العراقَ، وليست لك بدار! فسار خالد إلى العراق من يومه[1].

(الأُسَيّديّ: بضمّ الهمزة، وتشديد الياء، هكذا يقوله المحدّثون، وأمّا النُّحاة فإنّهم يخفّفون الياء، وهي عند الجميع نسبة إلى أُسيّد بن عَمْرو بن تميم، بضمّ الهمزة، وتشديد الياء)[2].

ذكر دُعاة بني العبّاس

قيل: وفي هذه السنة قدِم بُكَيْر بن ماهان من السند، وكان بها مع الجُنَيْد بن عبد الرحمن. فلمّا عُزل الجُنَيد قدِم بُكَيْر الكوفة، ومعه أربعُ لَبِنات من فضّة، ولَبِنة من ذهب، فلقي أبا عِكرمة الصّادق وميسرة[3] ومحمّد بن خُنَيْس، وسالماً الأعْين، وأبا يحيى مولى بني سَلِمة، فذكروا له أمر دعوة بني هاشم، فقبل ذلك ورضيه، وأنفق ما معه عليهم، ودخل إلى محمّد بن عليّ، ومات مَيْسرة فأقامه مقامه.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة غزا الجرّاحُ الحَكَميّ اللّان حتّى جاز[4] ذلك إلى مدائن وحصون وراء بَلَنْجَر، ففتح بعض ذلك، وأصاب غنائم كثيرة[5].

(١٢)العيون والحدائق ٣/٨٢، نهاية الأرب ٢١/٤٠٢، ٤٠٣، البداية والنهاية ٩/٢٣٣، تاريخ مختصر الدول ١١٦.

(١) الطبري ٧/٢٦.
(٢) انظر: العيون والحدائق ٣/٨٧.
(٣) في الأوربية: «والمغيرة».
(٤) في طبعة صادر ٥/١٢٥ «حاز».
(٥) الطبري ٧/٢١، نهاية الأرب ٢١/٤٠٣، البداية والنهاية ٩/٢٣١، النجوم الزاهرة ١/٢٥٤.

وفيها كانت غزوة سعيد بن عبد الملك أرضَ الروم، فبعث سريّة في نحو ألف مقاتل، فأُصيبوا جميعاً[1].

وفيها غزا مسلمُ بن سعيد الكلابيّ أميرُ خراسان التركَ بما وراء النهر، فلم يفتح شيئاً وقفل، فتبِعه التُّرك، فلحِقوه والناس يعبرون جَيْحون، وعلى الساقة عُبيد الله بن زُهَيْر بن حيّان على خيل تميم، فحاموا حتّى عبر الناس[2].

وغزا مسلم أفشين[3]، فصالح أهلها على ستّة آلاف رأس، ودفع إليه القلعة، وذلك لتمام خمسٍ ومائة بعد موت يزيد بن عبد الملك[4].

وفيها غزا مروانُ بن محمّد الصّائفة اليُمنى، فافتتح قُونية من أرض الروم وكَمْخ[5].

وحجّ بالناس هذه السنة إبراهيم بن هشام[6] خال هشام بن عبد الملك، فأرسل إلى عطاء: متى أخطب؟ قال: بعد الظهر قبل التّروية بيوم، فخطب قبل الظهر وقال: أخبرني رسولي عن عطاء، فقال عطاء: ما أمرتُهُ إلّا بعد الظهر، فاستحيا[7].

وكان هذه السنة على المدينة ومكّة والطائف عبد الواحد النَّضريّ. وكان على العراق وخُراسان: عمر بن هُبيرة. وكان على قضاء الكوفة: حسين بن حسن الكِنْديّ. وعلى قضاء البصرة: موسى بن أنس[8].

---

(١) الطبري ٧/٢١، نهاية الأرب ٢١/٤٠٣، البداية والنهاية ٩/٢٣١،

(٢) الطبري، نهاية الأرب.

(٣) الطبري: «أفشينة» و«أفشين». وفي (ر): «أفستين».

(٤) الطبري ٧/٢١، نهاية الأرب ٢١/٤٠٣.

(٥) انظر: العيون والحدائق ٣/٨٩، ونهاية الأرب ٢١/ ٤٠٣، وتاريخ خليفة ٣٣١ وفيه افتتح مدينة من أرض الروم من ناحية عنج، والنجوم الزاهرة ١/٢٥٤ وفيه «كماخ». وفي نسخة: «كمخ». وظاهر عبارة القاموس المحيط للفيروزابادي وشرحه أنهما لغة في هذا الإسم، إذ قال: «وكماخ كسحاب بلد بالروم أو هو كمخ بحذف الألف».
وقال ياقوت في معجم البلدان ٤/٤٧٩: كمخ: بالفتح ثم السكون. مدينة بالروم. وسألت واحداً من تلك النواحي فقال: هي كماخ، بالألف، لا شك فيها.

(٦) المحبّر ٢٩، تاريخ اليعقوبي ٢/٣٢٨، تاريخ الطبري ٧/٢٦، مروج الذهب ٤/٤٠٠، تاريخ العظيمي ٢٠٣، البداية والنهاية ٩/٢٣٣، النجوم الزاهرة ١/٢٥٤.

(٧) النجوم الزاهرة ١/٢٥٤، ٢٥٥.

(٨) الطبري ٧/٢٨.

[الوَفَيات]

وفي هذه السنة مات كثيّر عزّة[1].

وعِكْرِمة مولى ابن عبّاس[2]، وكان عِكرمة زوج أمّ سعيد بنت جُبَيْر.

وفيها مات حُمَيْد بن عبد الرحمن بن عَوْف[3]، وقيل: سنة خمسٍ وتسعين، وهو ابن ثلاثٍ وسبعين سنة.

(وفيها تُوفّي الضّحّاك بن مُزاحم[4].

وفيها توفّي عُبيد بن حُنين[5]، وهو ابن خمسٍ وسبعين سنة)[6].

وأبو رَجاء العُطاردي[7].

وأبو عبد الرحمن السّلَميّ[8]، وله تسعون سنة، واسمه عبد الله بن حَبيب بن ربيعة.

وفيها توفّي عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطّاب[9]، أمّه صفيّة أخت المختار، وأوصى إليه أبوه.

وفيها توفّي أخوه عُبيد الله بن عبد الله بن عمر[10]، وهو أخو سالم لأمّه، أمّهما أمّ ولد. وفي أيّام يزيد بن عبد الملك توفّي أبان بن عثمان بن عفّان[11]، وكان قد فُلِج.

---

(١) انظر عن (كثيّر عزّة) في: تاريخ الإسلام (١٠١ ـ ١٢٠ هـ). ص ٢٢٧ ـ ٢٢٩ رقم ٢١٧ وفيه مصادر ترجمته.

(٢) انظر عن (عكرمة مولى ابن عباس) في: تاريخ الإسلام (١٠١ ـ ١٢٠ هـ). ص ١٧٤ ـ ١٨١ رقم ١٨٧. وفيه مصادر ترجمته.

(٣) انظر عن (حميد بن عبد الرحمن) في: تاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ). ص ٣٣٧ رقم ٢٢٤ وفيه مصادر ترجمته.

(٤) انظر عن (الضحّاك بن مزاحم) في: تاريخ الإسلام (١٠١ ـ ١٢٠ هـ). ص ١١٢ رقم ١٠٠ وفيه مصادر ترجمته.

(٥) في طبعة صادر ٥/١٢٦: «حسين» وهو غلط، والتصويب من: تاريخ الإسلام (١٠١ ـ ١٢٠ هـ). ص ١٦٠ رقم ١٦٨ وفيه مصادر ترجمته.

(٦) ما بين القوسين من (ر).

(٧) انظر عن (أبي رجاء العطاردي) في: تاريخ الإسلام (١٠١ ـ ١٢٠ هـ). ص ٢٨٧ ـ ٢٨٩ رقم ٢٨٦ وفيه مصادر ترجمته.

(٨) انظر عن (أبي عبد الرحمن السلمي) في: تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ). ص ٥٥٦ ـ ٥٥٨ رقم ٢٧٤ وفيه مصادر ترجمته.

(٩) انظر عن (عبد الله بن عبد الله) في: تاريخ الإسلام (١٠١ ـ ١٢٠ هـ). ص ١٣٧، ١٣٨ رقم ١١٩ وفيه مصادر ترجمته.

(١٠) انظر عن (عبيد الله بن عبد الله) في: تاريخ الإسلام (١٠١ ـ ١٢٠ هـ). ص ١٥٩ رقم ١٦٤ وفيه مصادر ترجمته.

(١١) انظر عن (أبان بن عثمان) في: تاريخ الإسلام (١٠١ ـ ١٢٠ هـ). ص ٢٢ رقم ١ وفيه مصادر ترجمته.

وفيها تـوفّي عُمارة بن خُـزَيْمة بن ثـابت الأنصـاري [١] ، ولـه خمسٌ وسبعـون سنـة.

وفي أيّام يزيد بن عبد الملك مات المُغيرةِ بن عبد الرحمن [٢] بن الحارث بن هشام المخزوميّ.

وعطاء بن يزيد الجُنْدَعي اللَّيثيّ [٣]، ومولده سنة خمسٍ وعشرين، سكن الشام.

(الجُنْدَعيّ بضمّ الجيم، والدال المهملة المفتوحة، والنون [٤]).

وعِراك بن مالك الغِفاريّ والد خَيْثم بن عِراك [٥].

ومُورِّق العِجْليّ [٦].

---

(١) انـظر عن (عُمارة بن خـزيمـة) في: تـاريـخ الإسـلام (١٠١ ـ ١٢٠ هـ). ص ١٨٢ رقم ١٩٢ وفيـه مصـادر ترجمته.

(٢) انظر عن (المغيرة بن عبد الرحمن) في تاريخ الإسـلام (١٠١ ـ ١٢٠ هـ). ص ٤٧٧ رقم ٥٦٩ وفيه مصـادر ترجمته.

(٣) انظر عن (عطاء بن يزيد) في) تاريخ الإسلام (١٠١ ـ ١٢٠ هـ). ص ١٧٠ رقم ١٨٢ وفيه مصادر ترجمته.

(٤) ما بين القوسين من (ب).

(٥) في طبعة صادر ١٢٦/٥ بـالموضعين: «عِـزّاك» بالـزاي المشدّدة، والتصـويب من: تاريـخ الإسلام (١٠١ ـ ١٢٠ هـ). ص ١٦٨، ١٦٩ رقم ١٧٧ وفيه مصادر ترجمته.

(٦) ٢ انظر عن (مورّق العجلي) في: تاريخ الإسلام (١٠١ ـ ١٢٠ هـ). ص ٢٦٤ رقم ٢٥٤ وفيه مصادر ترجمته.

١٠٦
ثم دخلت سنة ستّ ومائة

ذكر الوقعة بين مُضَر واليمن بخُراسان

قيل: وفي هذه السنة كانت الوقعة بين المُضَريّة واليمانيّة بالبَرُوقان من أرض بَلْخ.

وكان سبب ذلك أنّ مسلم بن سعيد بن أسلم بن زُرعة غزا، فتبطّأ الناسُ عنه، وكان ممّن تبطّأ عنه البَخْتريّ بن دِرْهم، فردّ مسلمٌ نصرَ بن سَيّار، وبَلْعاء بن مُجاهد، وغيرهما إلى بلْخ، فأمرهم أن يُخرجوا الناس، فأحرق نصر باب البَختريّ، وزياد بن طَريف الباهلّي، فمنعهم عَمْرو بن مسلم أخو قُتَيْبة دخول بلْخ وكان عليها، وقطع مسلم بن سعيد النهر، ونزل نصر بن سيّار البَرُوقان، وأتاه أهل الصَّغانيان، ومَسْلمة التّميميّ، وحسّان بن خالد الأسديّ، وغيرهما، وتجمّعتْ ربيعة[١] والأزد بالبُروقان، على نصف فرسخٍ من نصر، وخرجت مُضَر إلى نصر، وخرجت ربيعة والأزد إلى عَمْرو بن مسلم بن عَمْرو، وأرسلت تغلب إلى عَمْرو بن مسلم: إنّك منّا، وأنشدوه شعراً قاله رجل عزا[٢] باهلة إلى تغلِب، وكان بنو قتيبة من باهلة، فلم يقبل عَمرو ذلك.

وسَفَر الضّحّاك بن مزاحم، ويزيد بن المفضّل الحدّانيّ في الصُّلح، وكلّما نصراً، فانصرف، فحمل أصحابُ عَمرو بن مسلم والبَخْتَريّ على نصر، وكرّ نصر عليهم، فكان أوّل قتيلٍ رجلٌ من باهلة من أصحاب عَمْرو بن مسلم في ثمانية عشر رجلاً، وانهزم عَمْرو، وأرسل يطلب الأمان من نصر، فآمنه. وقيل: أصابوا عَمراً في طاحونة، فأتوا به نصراً وفي عُنقه حبل، فآمنه وضربه مائة، وضرب البَخْتَريّ وزياد بن طَريف مائة مائة، وحلق رؤوسهم ولحاهم، وألبسهم المُسُوح[٣].

وقيل: إنّ الهزيمة كانت أوّلاً على نصر ومَنْ معه من مُضَر، فقال عَمرو بن مسلم لرجلٍ معه من تميم: كيف ترى أَسْتاه[٤] قومك يا أخا تميم؟ يعيّره بذلك. ثمّ كرّت

---

(١) الطبري ٧/ ٣٠: «وتجمّعت بكر».

(٢) في الأوربية: «رجل من».

(٣) الطبري ٧/ ٣٠، ٣١.

(٤) في الأوربية: «استات».

تميم، فهزمت أصحاب عَمرو، فقال التّميميّ لعَمْرو: هذه أستاه قومي. وقيل: كان سبب انهزام عَمرو أن ربيعة كانت مع عَمرو، فقُتل منهم ومن الأزد جماعة، فقالت ربيعة: علامَ نقاتل إخواننا وأميرنا، وقد تقرّبنا إلى عَمرو فأنكر قرابتنا؟ فاعتزلوا، فانهزمت الأزد وعَمرو، ثمّ آمنهم نصر، وأمرهم أن يلحقوا مسلم بن سعيد[1].

ذكر غزو مسلم التُّرْك

ثمّ قطع مسلم النهر، ولحِق به مَنْ لحِق من أصحابه، فلمّا بلغ بُخارى أتاه كتاب خالد بن عبد الله بولايته العراق، ويأمره بإتمام غَزَاته. فسار إلى فَرغانة، فلمّا وصلها بلغه أنّ خاقان قد أقبل إليه، وأنّه في موضعٍ ذكروه، فارتحل، فسار ثلاث مراحل في يوم، وأقبل إليهم خاقان، فلقي طائفةً من المسلمين، وأصاب دوابّ لمسلم، وقتل جماعة من المسلمين، وقُتل المُسيّب بن بِشْر الرياحيّ، والبَراء، وكان من فرسان المهلّب، وقُتل أخو غوزك[2]، وثار الناس في وجوههم فأخرجوهم من العسكر، ورحل مسلم بالناس، فسار ثمانية أيّام وهم مطيفون بهم، فلمّا كانت التاسعة أرادوا النزول، فشاوروا الناس، فأشاروا به وقالوا: إذا أصبحنا وردنا الماء، [والماءُ] منّا غير بعيد. فنزلوا ولم يرفعوا بناءً في العسكر، وأحرق الناسُ ما ثَقُل[3] من الآنية والأمتعة، فحرّقوا ما قيمته ألف ألف، وأصبح الناس فساروا فوردوا النهر، وأهل فرغانة والشاش دونه، فقال مسلم بن سعيد: أعزم على كلّ رجلٍ إلّا اخترط سيفه، ففعلوا وصارت الدنيا كلّها سيوفاً، فتركوا الماء وعبروا.

فأقام يوماً، ثمّ قطع من غدٍ، واتبعهم ابنُ لخاقان، فأرسل إليه حُمَيْد بن عبد الله، وهو على الساقة: قفْ لي، فإنّ خلفي مائتَيْ رجل من التُّرك حتّى أقاتلهم، وهو مُثقلٌ جِراحة، فوقف الناسُ، وعطف على الترك فقاتلهم، وأسر أهلَ الصُّغْد وقائدهم وقائد التُّرك في سبعة، ومضى البقيّة، ورجع حُمَيْد فرُمي بنشّابة في ركبته، فمات.

وعطش الناس، وكان عبد الرحمن العامريّ حمل عشرين قِربة على إبله، فسقاها الناسَ جُرَعاً جُرَعاً، واستسقى مسلم بن سعيد، فأتوه بإناء، فأخذه جابر أو حارثة[4] بن

---

(١) الطبري ٣٢/٧.

(٢) تحرّف في الأصل إلى «غورك».

(٣) في الأوربية: «نقل».

(٤) في الأوربية: «وحرثة».

كثير أخو سليمان بن كثير من فيه، فقال مسلم: دَعوه فما نازعني شربتي إلا من حَرٍّ دخَلَهُ[1]. وأتوا خُجَنْدة، وقد أصابهم مجاعة وجهد، فانتشر الناسُ، فإذا فارسان يسألان عن عبد الرحمن بن نُعَيْمٍ، فأتياه بعهده على خُراسان من أسد بن عبد الله أخي خالد، فأقرأه عبد الرحمن مسلماً، فقال: سمعاً وطاعة. وكان عبد الرحمن أوّل مَنِ اتّخذ الخيام في مفازة آمُل.

قال الخزرج التغلبيّ: قاتلَنا التركُ، فأحاطوا بنا حتّى أيقنّا بالهلاك، فحمل حَوْثرة بن يزيد بن الحُرّ بن الحُنَيْف على الترك في أربعة آلاف، فقاتلهم ساعة ثمّ رجع، وأقبل نصر بن سيّار في ثلاثين فارساً، فقاتلهم حتّى أزالهم عن مواضعهم، فحمل عليهم الناس، فانهزم الترك وحَوْثرة، وهو ابن أخي رَقَبَة[2] بن الحُرّ.

قيل: وكان عمر بن هُبيرة قال لمسلم بن سعيد حين ولّاه: ليكنْ حاجبك مِنْ صالح مواليك، فإنّه لسانك والمعبِّر عنك، وعليك بعمّال العذر. قال: وما عمّال العذر؟ قال: تأمر[3] أهل كلّ بلد أن يختاروا لأنفسهم، فإن كان خيراً كان لك، وإن كان شرّاً كان لهم دونك، وكنتَ معذوراً.

وكان على خاتم مسلم بن سعيد توبةُ بن أبي سعيد، فلمّا وليَ أسد بن عبد الله خُراسان جعله على خاتمه أيضاً[4].

ذكر حجّ هشام بن عبد الملك

وحجّ بالناس هذه السنة هشام بن عبد الملك[5]، وكتب له أبو الزّناد سُنَن الحجّ.

قال أبو الزّناد: لقيتُ هشاماً، فإنّي لفي الموكب، إذ لقيه سعيد بن عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفّان، فسار إلى جَنْبه، فسمعه يقول: يا أمير المؤمنين، إنّ الله لم يزل يُنعم على أهل بيت أمير المؤمنين وينصر خليفته المظلوم، ولم يزالوا يلعنون في هذه المواطن أبا تراب! فإنّها مواطن صالحة، وأمير المؤمنين ينبغي له أن يلعنه فيها.

---

(١) في الأوربية: «حَرَد خلّه».

(٢) في الأوربية: «رقية».

(٣) الطبري ٣٥/٧: «مُرْ».

(٤) الطبري ٣٢/٧ ؛ ٣٥، وانظر: تاريخ خليفة ٣٣٦، نهاية الأرب ٤٠٤/٢١، ٤٠٥.

(٥) المحبّر ٢٩، تاريخ خليفة ٣٣٦، تاريخ اليعقوبي ٣٢٨/٢، تاريخ الطبري ٣٥/٧، مروج الذهب ٤٠٠/٤، العيون والحدائق ٨٨/٣، تاريخ العظيمي ٢٠٣، نهاية الأرب ٤٣٤/٢١، تاريخ الإسلام (١٠١ - ١٢٠ هـ). ص ١٥، البداية والنهاية ٢٣٤/٩، شفاء الغرام ٣٤٠/٢، النجوم الزاهرة ٢٦٠/١، تاريخ الخميس ٣٥٦/٢، مختصر التاريخ ١٠٠.

فشقّ على هشام قوله وقال: ما[1] قدِمْنا لشتْم أحدٍ ولا للعنه، قدِمْنا حُجّاجاً، ثمّ قطع كلامه وأقبل عليّ فسألني عن الحجّ، فأخبرته بما كتبت له، قال: وشقّ على سعيد أنّي سمعته تكلّم بذلك، وكان منكسراً كلّما رآني[2].

ذكر ولاية أسد خُراسان

قيل: وفي هذه السنة استعمل خالد بن عبد الله أخاه أسداً على خُراسان، فقدِمَها ومسلم بن سعيد [غازٍ] بفَرَغانة، فلمّا أتى أسدٌ النهر ليقطعه منعه الأشْهب بن عُبَيْد التميميّ، وكان على السفن بآمُل، وقال: قد نُهيتُ عن ذلك، فأعطاه ولاطَفه، فأبى، قال: فإنّي أمير، فأذِن له، فقال أسد: اعرفوا هذا حتّى نشكره في أمانتنا.

وأتى الصُّغْدَ فنزل بالمرج، وعلى سَمَرْقَنْد هانيء بن هانيء، فخرج في الناس يلقى أسداً، فرآه على حجر، فتفاءل الناسُ وقالوا: ما عند هذا خير، أسد على حجر. ودخل سمرقند وبعث رجلَيْن معهما عهد عبد الرحمن بن نُعَيْم على الجُند، فقدِما وسألا عنه وسلّما إليه العهد، فأتى به مسلماً فقال: سمعاً وطاعة. وقفل عبدُ الرحمن بالناس ومعه مسلم، فقدِموا على أسد بسمرقند، فعزل هانئاً عنها، واستعمل عليها الحسنَ بن أبي العَمَرَّطة الكِنْديّ.

وقيل للحسن: إنّ الأتراك قد أتوك في سبعة آلاف. فقال: ما أتونا، نحن أتيناهم وغلبناهم على بلادهم واستعبدناهم، ومع هذا فلأُدْنينّ بعضكم من بعض ولأُقْرِننّ[3] نواصي خيلكم بخيلهم، ثمّ سبّهم ودعا عليهم، ثمّ خرج إليهم متباطئاً، فأغاروا ورجعوا سالمين. واستخلف على سمرقند ثابت قُطْنة، فخطب الناسَ، فأُرتجَ عليه وقال: ومن يُطِعِ الله ورسوله فقد ضلّ؛ فسكت ولم ينطق بكلمة، وقال:

إن لم أكنْ فيكم خطيباً فإنّني ... بسيفي إذا جَدّ الوغى لخطيبُ[4]

فقيل له: لو قلتَ هذا على المنبر لكنتَ أخطب الناس؛ فقال حاجب الفيل اليشكريّ يعيّره حَصَرَهُ[5].

---

(١) في الأوربية: «لا».
(٢) الطبري ٧/٣٥، ٣٦، البداية والنهاية ٩/٢٣٤، العيون والحدائق ٣/٨٨، ٨٩.
(٣) في الأوربية: «ولأقربنّ».
(٤) وروايته في البيان والتبيين:
فإلّا أكنْ فيهم خطيباً فإنني ... بسمر القَنا والسيف جدّ خطيب
(٥) في الأوربية: «بحضرته».

أبـا العـلاءِ لقـد لاقيتَ مُعضلة[1] يـومَ العَـروبـة من كَـرْبٍ وتخنيقِ
تلوي اللسـانَ إذا رُمْتَ الكـلامَ بـه كمـا هـوى زَلَقٌ من شـاهقِ النِّيقِ
لمّا رَمَتْك عيُـونُ الناسِ صـاحيةً[2] أنشـأت تَجْرَضُ لمّـا قمتَ بـالـرِّيقِ
أمّـا القُـرانُ فـلا تُهـدى لِمُحْكَمَـةٍ من القُـرانِ ولا تُهـدى لتـوفيقِ[3]

ذكر استعمال الحُرّ على الموصل

في هــذه السنـة استعمــل هشــامٌ الحُـــرَّ بنَ يـوسف بنِ يحيى بن الحَكَم بن أبي العـاص بن أميّة على المـوصل، وهـو الـذي بنى المنقـوشـة داراً يسكنهـا، وإنّمـا سُمّيت المنقوشة لأنّها كانت منقوشة بالسّاج والرخام والفصوص الملوّنة وما شاكلهـا، وكانت عنـد سوق القتّابين والشعّارين وسوق الأربعاء، وأمّا الآن فهي خرِبة تجاور سوق الأربعـاء. وهذا الحرّ الذي عمل النهر الذي كان بالموصل.

وسبب ذلك أنّه رأى امرأة تحمل جـرّة ماء، وهي تحملهـا قليلاً، ثمّ تستـريح قليـلاً لبُعد الماء، فكتب إلى هشام بذلك، فأمر بحفر نهر إلى البلد، فحفره، فكـان أكثر شـرب أهل البلد منه، وعليه كان الشارع المعروف بشـارع النهر، وبقي العمـل فيه عـدّة سنين، ومات الحُرّ سنة ثلاث عشرة ومائة[4].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة كلّم إبراهيم بن محمّد بن طلحة هشامَ بنَ عبد الملك وهو في الحِجْر فقال له: أسألك بالله وبحُرمة هذا البيت الذي خرجتَ معظّماً له إلا رددتَ عليّ ظلامتي. قـال: أيّ ظلامـة؟ قال: داري. قـال: فأين كنتَ عن أميـر المؤمنين عبـد الملك؟ قـال: ظلمني. قال: فالوليد وسليمان؟ قال: ظلماني. قال: فعمر؟ قال: يرحمه الله ردّها عليّ. قال: فيزيـد بن عبد الملك؟ قـال: ظلمني وقبضها منّي بعـد قبضي لها، وهي في يـدك. فقـال هشام: لـو كان فيـك ضربٌ لضـربتُك. فقـال: فيّ والله ضرب بـالسيف والسـوط. فانصرف هشام [والأبرش خلفه] فقال: [أبا مجاشع] كيف سمعت هذا الإنسان؟ قال: مـا أجوده! قال: هي قريش وألسنتها، ولا يزال في الناس بقايا ما رأيت مثل هذا[5].

وفيها عزل هشامٌ عبدَ الواحد النَّضريّ عن مكّة والمدينة والطائف، وولّى ذلك خـالَه

---

(١) في الأوربية: «مفضلة».
(٢) الطبري ٧/٣٩: «ضاحية».
(٣) الطبري ٧/٣٧ ـ ٣٩.
(٤) الخبر باختصار في: تاريخ حلب للعظيمي ٢٠٤ حوادث ١٠٧. و١٠٨ هـ.
(٥) الطبري ٧/٣٦.

إبراهيم بن هشام بن إسماعيل، فقدِم المدينة في جُمادى الآخـرة، فكانت ولايـة النَّضْريّ سنة وثمانية أشهر[١].

وفيها غزا سعيد بن عبد الملك الصـائفة[٢].

وفيها غزا الجرّاحُ بن عبد الله اللاّنَ، فصالح أهلها فأدّوا الجِزية[٣].

وفيها وُلد عبد الصّمد بن علي بن عبد الله بن عبّاس في رجب[٤].

وفيها استقضى إبراهيمُ بن هشام على المدينة محمّدَ بن صَفوان الجُمَحيّ، ثمّ عزله واستقضى الصّلْتَ الكِنديّ[٥].

وكان العامل على مكّة والمدينة والطائف: إبراهيم بن هشام المخزوميّ، وكان على العـراق وخُراسـان: خالـد بن عبد الله القسـريّ البَجَليّ، وكان عـامل (خـالد على صـلاة البصرة: عُقْبة)[٦] بن عبد الأعلى، وعلى شُرطتهـا: مالـك بن المنذر بن الجـارود، وعلى قضائها: ثُمامة بن عبد الله بن أنس[٧].

وحجّ بالناس هشام بن عبد الملك[٨].

[الوَفَيات]

وفيها مات يوسف بن مالك[٩] مولى الحَضرميّين.

وبكر بن عبد الله المُزَنيّ[١٠].

---

(١) الطبري ٧/٢٩، البداية والنهاية ٩/٢٣٤.

(٢) تاريخ خليفة ٣٣٦، تاريخ اليعقوبي ٢/٣٢٨، تاريخ الطبري ٧/٢٩، نهاية الأرب ٢١/٤٠٥ البداية والنهـاية ٩/٢٣٤.

(٣) تاريخ خليفـة ٣٣٦، تاريخ اليعقوبي ٢/٣٢٨، تـاريخ الـطبري ٧/٢٩ وفيـه: «غزا الحجـاج بن عبد الملك اللان» وهذا وهْم، وورد الخبر مشـوّشاً في تـاريخ حلب للعـظيمي ٢٠٣: «وولي الضحاك الأشعـري دمشق ودخل من باب الأبواب وهو أول من دخله فصالحه اللان على وزن الجزية»، وواضح أن الخبر فيه نقص في أولـه، ولا علاقـة للضحّاك الأشعـري به. والخبـر في: نهايـة الأرب ٢١/٤٠٥، وتـاريـخ الإسـلام (١٠١ - ١٢٠ هـ). ص ١٥.

(٤) الطبري ٧/٢٩.

(٥) الطبري ٧/٢٩.

(٦) ما بين القوسين ورد في الأوربية: «وكان عامل خالد على البصرة على صلاتها عُقبة».

(٧) الطبري ٧/٣٩.

(٨) تقدّم الخبر قبل قليل مع مصادره.

(٩) لم أجد في المصادر من هـو: يوسف بن مـالك، وأظنّـه: «يوسف بن مـاهك» مـولى المكّيّين، الذي يقـال: توفي سنة ١٠٣ ويقال ١١٠ و١١٣ و١١٤ هـ. والله أعلم.

(١٠) انـظر عن (بكر بن عبـد الله) في: تـاريـخ الإسـلام (١٠١ - ١٢٠ هـ). ص ٣٣ - ٣٥ رقم ١٩ وفيـه مصـادر ترجمته.

١٠٧
ثم دخلت سنة سبعٍ ومائة

ذكر ملك الجُنَيْد بعض بلاد السَّند وقتل صاحبه جيشبه

في هذه السنة استعمل خالدُ القَسْريّ الجُنَيْدَ بن عبد الرحمن على السِّند، فنزل شطّ مهران، فمنعه جيشبه بن ذاهر العبورَ وقال: إنّنا مسلمون، فقد استعملني الرجل الصالح، يعني عمر بن عبد العزيز، على بلادي ولستُ آمنك، فأعطاه رهناً وأخذ منه رهناً بما على بلاده من الخراج، ثمّ إنّهما ترادّا الرهنَ وكفر جيشبه وحاربه، وقيل: لم يحاربْه، ولكنّ الجُنَيْد تجنّى عليه، فأتى الهندَ فجمع وأخذ السفن، (واستعدّ للحرب، فسار الجُنيد إليه في السفن)[1] أيضاً، فالتقوا، فأخذ جيشبه أسيراً، وقد جنحت سفينته فقتله، وهرب أخوه صصّه إلى العراق ليشكو غدر الجُنَيد، فخدعه الجُنَيدُ حتّى جاء إليه فقتله.

وغزا الجُنيدُ الكيرج[2]، وكانوا قد نقضوا، ففتحها عَنوةً، وفتح أُزَيْن[3] والمالية[4]، وغيرهما من ذلك الثغر[5].

ذكر غزوة عَنْبَسة الفرنج بالأندلس[6]

في هذه السنة غزا عَنْبسة بن سُحَيْم الكلبيّ عاملُ الأندلس بلدَ الفرنج في جمعٍ كثير، ونازل مدينة قَرْقسونة وحصر أهلها، فصالحوه على نصف أعمالها، وعلى جميع ما في المدينة من أسرى المسلمين وأسلابهم، وأن يعطوا الجزية، ويلتزموا بأحكام الذمّة من محاربة مَنْ حاربه المسلمون، ومسالمة مَنْ سالموه[7]، فعاد عنهم عَنْبسة، وتُوفّي في

---

(١) ما بين القوسين من (ر).

(٢) في الأصل: «الكرخ» وهو وهْم.

(٣) في (ب): «أرنيل».

(٤) في نسخة (دي غويه): «والمالية» ومثله في فتوح البلدان.

(٥) الخبر في: فتوح البلدان ٥٤١، والخراج وصناعة الكتابة لقُدامة ٤٢١، ٤٢٢، وتاريخ اليعقوبي ٢/٣١٦، ٣١٧.

(٦) العنوان من نسخة (ب).

(٧) نهاية الأرب ٢١/٤٠٥، البيان المغرب ٢/٧٢ (حوادث ١٠٥ هـ).

شعبان سنة سبْعٍ ومائة أيضاً، وكانت ولايته أربع سنين وأربعة أشهر[1]. ولمّا مات استعمل عليهم بِشْرُ بن صَفْوان يحيى بن سلمة الكلبيَّ في ذي القعدة سنة سبْعٍ أيضاً[2].

ذكر حال الدّعاة لبني العبّاس

قيل: وفيها وجّه بُكَيْر بن ماهان: أبا عِكْرمة، وأبا محمّد الصادق، ومحمّد بن خُنَيْس، وعمّاراً العباديّ، وزياداً خال الوليد الأزْرق، في عدّةٍ من شيعتهم دُعاةً إلى خُراسان، فجاء رجلٌ من كِنْدة إلى أسد بن عبد الله، فَوَشَى بهم إليه، فأتى بأبي عِكرمة، ومحمّد بن خُنيس، وعامّة أصحابه، ونجا عمّار، فقطع أسد أيدي مَنْ ظفر به منهم وصلبهم، وأقبل عمّار إلى بُكير بن ماهان فأخبره [الخبر]، فكتب إلى محمّد بن عليّ بذلك، فأجابه: الحمد لله الذي صدّق دعوتكم ومقالتكم، وقد بقيتْ منكم قتلى ستُقتَل[3].

وفيها قدِم مسلم بن سعيد إلى خالد بن عبد الله، فكان أسد يكرمه بخُراسان ولم يعرض له، فقدِم مسلم وابنُ هبيرة يريد الهرب، فنهاه عن ذلك وقال: إنّ القوم فينا أحسن رأياً منكم فيهم[4].

وفيها غزا أسد جبال نَمْرون[5] ملك غَرْشِسْتان[6] ممّا يلي جبال الطَّالَقان، فصالحه نمرون وأسلم على يده، وهم [اليوم] يتولّون اليمن[7].

---

(1) انظر عن (عنبسة) في: الحلّة السيراء ٢/٣٣٧، والبيان المغرب ٢/٢٧ وفيه كانت ولايته: أربع سنين وثمانية أشهر.

(2) انظر عن (بشر بن صفوان) في: الحلّة السيراء ١/٦٥، ٦٦، والبيان المغرب ٢/٢٧، وتاريخ اليعقوبي ٢/٣١٨.

(3) الطبري ٧/٤٠، وانظر: الأخبار الطوال ٣٣٤ و ٣٣٥ ـ ٣٣٧.

(4) في الأوربية: «فيكم منهم». والخبر في تاريخ الطبري ٧/٤٠.

(5) في (ب): هرون، و (أ): «تمرون». وفي (ر): «دمرون». وفي نسخة دي غوية: «نمروذ».

(6) غَرْشِسْتان: بالفتح ثم السكون، وشين معجمة مكسورة وسين مهملة. ولاية تقع هراة في غربيّها، والغَور في شرقيّها، ومرو الروذ عن شماليّها، وغزنة عن جنوبيّها. (معجم البلدان ٤/١٩٣).

(7) في الأوربية: «النمر». والخبر في: تاريخ خليفة ٣٣٦، والطبري ٧/٤٠، وتاريخ الإسلام (١٠١ ـ ١٢٠ هـ). ص ١٦، البداية والنهاية ٩/٢٤٤.

ذكر الخبر عن غزوة الغُور

قيل: وفي هذه السنة غزا أسد الغُور، وهي جبال هَرَاة، فعمد أهلها إلى أثقالهم فصيّروها في كهفٍ ليس إليه طريق، فأمر أسد باتّخاذ توابيت، ووضع فيها الرجال، ودلّاها بسلاسل، فاستخرجوا ما قدروا عليه[1].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة عزل هشامٌ: الجرّاحَ بن عبد الله الحَكَميّ عن أرمينية وأذْرَبَيْجان، واستعمل عليها أخاه مَسْلمة بن عبد الملك، فاستعمل عليها مَسلمةُ الحارثَ بن عَمْرو الطائيّ، فافتتح من بلد التُّرك رستاقاً وقرى كثيرة، وأثّر فيها أثراً حَسَناً[2].

وفيها نقل أسد مَنْ كان بالبَرُوقان إلى بَلْخ من الجُند، وأقطع كلّ مَنْ كان له بالبَرُوقان بقدر مسكنه، ومَنْ لم يكن له مسكن أقطعه مسكناً، وأراد أن يُنْزلهم على الأخماس فقيل له: إنّهم[3] يتعصّبون، فخلط[4] بينهم. وتولّى بناء مدينة بلْخ برمك أبو خالد بن برمك، وبينها وبين البَرُوقان فرسخان[5].

وحجّ بالناس هذه السنة إبراهيم بن هشام[6]،

وكان عمّال الأمصار مَنْ تقدّم ذكرهم في السنة قبلها[7].

[الوَفَيَات]

وفيها مات: سليمان بن يَسار[8]، وعمره ثلاث وسبعون سنة.

---

(١) الطبري ٧/٤٠، ٤١، نهاية الأرب ٢١/٤٠٥، البداية والنهاية ٩/٢٤٤، النجوم الزاهرة ١/٢٦١.

(٢) نهاية الأرب ٢١/٤٠٥، تاريخ خليفة ٣٣٧ وفيه: غزا الحارث فافتتح رُستاقاً يقال له: خشدان من بلاد الكر. وانظر: تاريخ اليعقوبي ٢/٣١٧، ٣١٨.

(٣) في الأوربية: «إن».

(٤) في الأوربية: «فخلّوا».

(٥) الطبري ٧/٤١، النجوم الزاهرة ١/٢٦١.

(٦) المحبّر ٢٩، تاريخ خليفة ٣٣٧، تاريخ اليعقوبي ٢/٣٢٨، الطبري ٧/٤٢، مروج الذهب ٤/٤٠٠، تاريخ العظيمي ٢٠٤، نهاية الأرب ٢١/٤٣٥، البداية والنهاية ٩/٢٤٤، النجوم الزاهرة ١/٢٦١.

(٧) الطبري ٧/٤٢.

(٨) انظر عن (سليمان بن يسار) في: تاريخ الإسلام (١٠١ ـ ١٢٠ هـ). ص ١٠٠ رقم ٨٥ وفيه مصادر ترجمته.

وعطاء بن يزيد الليثي[1]، وله ثمانٌ وتسعون سنة، (وقد تقدم ذِكر وفاته سنة خمسٍ ومائة)[2].

(يَسار: بالياء المثنّاة من تحت، وبالسّين المهملة).

(١) تقدّم في وفيات سنة ١٠٥ هـ. مع مصادر ترجمته.

(٢) ما بين القوسين من (ر).

١٠٨
ثم دخلت سنة ثمانٍ ومائة

ذكر غزوة الخُتّل والغَور

قيل: وفي هذه السنة قطع أسد النهر، وأتاه خاقان، فلم يكن بينهما قتال في هذه الغزوة، وقيل: عاد مهزوماً من الخُتَّل، وكان أسد قد أظهر أنّه يريد أن يشتو بسُرْخ دَرَه[١]، فأمر الناسَ فارتحلوا، ووجّه راياته، وسار في ليلةٍ مظلمة إلى سُرْخ دَرَه[٢]، فكبّر الناسُ، فقال: ما لهم؟ فقالوا: هذه علامتهم إذا قفلوا. فقال للمنادي: نادِ إنّ الأمير يريد غوريين، فمضى إليهم[٣]، فقاتلوهم يوماً وصبروا لهم. وبرز رجلٌ من المشركين بين الصفّين، فقال سالم بن أحْوَز لنصر بن سيّار: أنا حامل على هذا العلج، فلعلّي أقتله فيرضى أسد، فحمل عليه فطعنه فقتله، ورجع سالم فوقف ثمّ قال لنصر: أنا حامل حملة أخرى، فحمل فقتل رجلاً آخر، وجُرح سالم، فقال نصر لسالم: قفْ حتّى أحمل عليهم، فحمل حتّى خالط العدوّ، فصرع رجلَيْن، ورجع جريحاً وقال: أترى ما صنعنا يُرْضيه؟ لا أرضاه الله! قال: لا والله. قال: وأتاهما رسول أسد فقال: يقول لكما الأمير: قد رأيتُ موقفكما وقلّة غَنائكما[٤] عن المسلمين، لعنكما الله. فقال: آمين إن عُدْنا لمثل هذا! وتحاجزوا.

ثمّ عادوا من الغد، فاقتتلوا وانهزم المشركون، وحوى المسلمون عسكرهم، وظهروا على البلاد، وأسروا وسبوا وغنموا. وقد أصاب الناس جوعٌ شديد بالخُتّل، فبعث أسد بكبشَيْن مع غلامٍ له وقال: بِعْهما بخمسمائة درهم. فلمّا مضى الغلام قال أسد: لا يشتريهما إلّا ابن الشِّخّير، وكان في المَسْلَحة، فدخل حين أمسى فرأى الشاتين في السّوق، فاشتراهما بخمسمائة، فذبح إحداهما، وبعث بالأخرى إلى بعض إخوانه، فلمّا أخبر الغلامُ أسداً بالقصّة بعث إلى ابن الشِّخّير بألف درهم، وهو عثمان بن

---

(١) في (ب): «بسرج دره»، ومثله في نسخة بودليان.

(٢) في (ب): «سرح درح».

(٣) في الأصل: «إليها».

(٤) في الأوربية: «عنائكما».

عبد الله بن الشِّخِّير أبو مطرّف[1].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة غـزا مَسْلمةُ بن عبـد الملك الرومَ ممّـا يلي الجزيـرة ففتح قَيْسـارية، وهي مـدينة مشهـورة[2].

وفيها أيضاً غزا إبراهيمُ بن هشام، ففتح حصناً من حصون الروم[3].

وفيها وجّه بُكَيْرُ بن هامان إلى خُراسان جماعةً من شيعة بني العبّاس، منهم عمّار العباديّ، فسعى بهم رجلٌ إلى أسد بن عبد الله أمير خُراسان، فأخذ عمّاراً فقطع يدَيْه ورِجلَيْه، ونجا أصحابُه فوصلوا إلى بُكير، فأخبروه بذلك، فكتب إلى محمّد بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس، فأجابه: الحمد لله الذي صدّق دعوتكم ونجّى شيعتكم[4]، وقد تقدّم سنة سبْع ومائة ذِكر هذه القصّة. وفيها: أنّ عمّاراً نجا؛ وفي هذه الروايةِ: أنّ عمّاراً قُطع، فلهذا أعَدنا ذكرها، والله أعلم.

وفيهـا وقع الحـريق بدابِق فـاحترق المـرعى والدوابّ والـرِّحال[5].

وفيها سار ابن خاقان ملك التُّرْك إلى أذْرَبَيْجان، فحصر بعض مدنها، فسار إليه الحارث بن عَمْرو الطّائيّ، فالتقوا فاقتتلوا، فانهزم الترك، وتبِعهم الحارث حتّى عبر نهر أرس، فعاد إليه ابن خاقان، فعاود الحربَ أيضاً، فانهزم ابنُ خاقان، وقُتل من التُّرك خلق كثير[6].

وفيها خرج عبّاد الرُّعَيْنيّ باليمن محكِّماً، فقتله أميرها يوسف بن عمر[7]، وقتل أصحابه، وكانوا ثلاثمائة.

---

(١) الـطبري ٧/٤٣ ـ ٤٥ وفيـه: «أخو مـطرّف»، والخبر بـاختصـار في: نهـاية الأرب ٢١/٤٠٥، ٤٠٦ وفيـه: «غوريان»، وباختصار شديد في: تاريخ خليفة ٣٣٨.

(٢) تاريخ خليفة ٣٣٧، تاريخ اليعقوبي ٢/٣٢٩، تـاريخ الـطبري ٧/٤٣، المنتخب من تـاريخ المنبجي ٨٩، العيون والحدائق ٣/٨٩، تاريخ العظيمي ٢٠٤، نهاية الأرب ٢١/٤٠٦، البدايـة والنهايـة ٩/٢٥٦، النجوم الزاهرة ١/٢٦٢، تاريخ الخلفاء ٢٤٨، تاريخ الخميس ٢/٣٥٦.

(٣) الطبري ٧/٤٣، البداية والنهاية ٩/٢٥٦.

(٤) الطبري ٧/٤٣.

(٥) الطبري ٧/٤٣ وفيه: «الرجال» وكذا في الأصل، النجوم الزاهرة ١/٢٦٢، وورد الخبـر في تاريـخ العظيمي ٢٠٤ هكذا: «غزا معاوية بن هشام بن عبد الملك الروم ونزل بدابق فأحرق المرعى والخيم وكثيراً من الناس والدواب»!

(٦) تاريخ خليفة ٣٣٨، تاريخ الإسلام (١٠١ ـ ١٢٠ هـ). ص ١٧، نهـاية الأرب ٢١/٤٠٦. وانـظر: المنتخب من تاريخ المنبجي ٨٩، وتاريخ اليعقوبي ٢/٣٢٩، وتاريخ العظيمي ٢٠٤.

(٧) في تـاريخ خليفـة ٣٣٨: ومنها خـرج عباد الحروري بـالـري فقتله يـوسف بن عمر.

وفيها غزا معاوية بنُ هشام بن عبد الملك، ومعه مَيمون بن مِهْران على أهل الشام، فقطعوا البحر إلى قُبرس[١]، وغزا في البرّ مَسْلمة بن عبد الملك بن مروان[٢].

وفيها كان بالشام طاعون شديد[٣].

وحجّ بالناس هذه السنة إبراهيم بن هشام وهو على المدينة ومكّة والطائف[٤]. وكان العمّال مَنْ تقدّم ذكرهم في السنة قبلها[٥].

وكان العمّال مَنْ تقدّم ذكرهم في السنة قبلها[٥].

[الوَفَيات]

وفيها مات محمّد بن كعب القُرْظيّ[٦]، وقيل: سنة سبْع عشرة، وقيل: إنّه وُلد على عهد رسول الله ﷺ.

وفيها مات موسى بن محمّد بن عليّ بن عبد الله والد عيسى ببلاد الروم غازياً، وكان عمره سبْعاً وسبعين سنة[٧].

وفيها مات القاسم بن محمّد بن أبي بكر الصدّيق[٨]، وكان عمره سبعين سنة، وقيل: اثنتين وسبعين سنة، وكان قد عَمي، وقيل: مات سنة إحدى ومائة.

وبها توفّي أبو المتوكّل عليّ بن داود الناجي[٩].

---

(١) لم أجد هذه الرواية للخبر إلا في نهاية الأرب ٢١/٤٠٦ وهو يقتبس عن ابن الأثير، بل وجدت في تاريخ خليفة ٣٣٨: وفيها غزا معاوية بن هشام أرض الروم فبعث البطال إلى خنجرة ففتحها. ومثله في: تاريخ اليعقوبي ٢/٣٢٩، والبداية والنهاية ٩/٢٥٦، وتاريخ الإسلام (١٠١ - ١٢٠ هـ). ص ١٨، أما في: المنتخب من تاريخ المنبجي ٨٩ ففيه: «وفي السنة الرابعة لهشام غزا معاوية بن هشام الروم وفتح حصوناً كثيرة وسبى خلقاً».

(٢) انظر أول خبر في هذه الحوادث.

(٣) انظر عن الطاعون في: العيون والحدائق ٣/٨٩ (حوادث ١٠٧ هـ)، والمنتخب من تاريخ المنبجي ٨٩ (١٠٧ هـ).

(٤) المحبّر ٢٩، تاريخ خليفة ٣٣٨، تاريخ اليعقوبي ٢/٣٢٨، تاريخ الطبري ٧/٤٥، مروج الذهب ٤/٤٠٠، تاريخ العظيمي ٢٠٤، نهاية الأرب ٢١/٤٣٥، النجوم الزاهرة ١/٢٦٢.

(٥) الطبري ٧/٤٥.

(٦) انظر عن (محمد بن كعب) في: تاريخ الإسلام (١٠١ - ١٢٠ هـ). ص ٢٥٠ - ٢٥٤ رقم ٢٢٨ وفيه مصادر ترجمته.

(٧) في النجوم الزاهرة ١/٢٦٢ هـ «مات في حياة أبيه غازياً في بلاد الروم وله ثمان عشرة سنة».

(٨) انظر عن (القاسم بن محمّد) في: تاريخ الإسلام (١٠١ - ١٢٠ هـ). ص ٢١٧ - ٢٢٣ رقم ٢١٠ وفيه مصادر ترجمته.

(٩) انظر عن (أبي المتوكل) في: تاريخ الإسلام (١٠١ - ١٢٠ هـ). ص ٢٩٨، ٢٩٩ رقم ٣٠٠ وفيه مصادر ترجمته.

وأبو الصَّدّيق النّاجي[1] أيضاً، واسمه بكر بن قيس الناجيّ (الناجي: بالنون والجيم).

وأبو نَضْرة المنذر بن مالك بن قُطعَةَ النَّضْري[2]. (نَضرة: بالنون والضّاد المعجمة).

ومحارب بن دِثار[3] الكوفيّ قاضيها (دِثار بكسر الدال المهملة، والثاء المثلّثة)[4].

---

(١) انظر عن (أبي الصدّيق الناجي): في: تاريخ الإسلام (١٠١ ـ ١٢٠ هـ). ص ٢٩٣ رقم ٢٩٥ وفيه مصادر ترجمته.

(٢) انظر عن (أبي نضرة المنذر بن مالك) في: تاريخ الإسلام (١٠١ ـ ١٢٠ هـ). ص ٣٠١ رقم ٣٠٥ وفيه مصادر ترجمته.

(٣) انظر عن (محارب بن دثار) في: تاريخ الإسلام (١٠١ ـ ١٢٠ هـ). ص ٤٥٨ رقم ٥٤١ وفيه مصادر ترجمته.

وقد توفي محارب سنة ١١٦ هـ.

(٤) ما بين القوسين من (ر).

١٠٩
ثم دخلت سنة تسع ومائة

ذكر عزل خالد وأخيه أسد عن خُراسان وولاية أشْرس

قيل: وفي هذه السنة عزل هشامُ بن عبد الملك: خالدَ بن عبد الله، وأخاه عن خُراسان[١].

وسبب ذلك أنّ أسداً تعصّب حتّى أفسد الناس، وضرب نصرَ بن سَيّار ونفراً معه بالسِّياط، منهم: عبد الرحمن بن نُعَيْم، وسَوْرة بن الحُرّ، والبَخْتريّ بن أبي درهم، وعامر بن مالك الحِمّانيّ، وحلقهم وسيّرهم إلى أخيه خالد، وكتب[٢] إليه: إنّهم أرادوا الوثوب بي. فلمّا قدِموا على خالد لام أسداً وعنّفه وقال: ألا بعث إليّ برؤوسهم؟ فقال نصر:

بَعَثْتَ بالعتاب في غير ذنب	في كتابٍ تلومُ أمُّ تميمِ
إنّ أكُنْ مُوثقاً أسيراً لديهم	في هُمومٍ وكُربةٍ وسهُومِ
رهنَ قَسْرٍ[٣] فما وجدت بلاءً	كإسار الكِرامِ عندَ اللئيمِ
أبلغِ المُدَّعين قَسراً وقَسْرٌ	أهلُ عُود[٤] القناةِ ذاتِ الوُصومِ
هل فطِمْتُمْ عن الخيانة والغدْ	رِ أم أنتمْ كالحاكر المستديمِ؟

وقال الفرزدق:

أخالدُ لولا اللّهُ لم تُعْطَ طاعةً	ولولا بنو مروانَ لم يوثقوا[٥] نصرا
إذاً للقيتمْ عند[٦] شدّ وَثاقِه	بني الحرب لا كُشفَ اللقاء ولا ضَجْرا

(١) العيون والحدائق ٣/٨٩.
(٢) في الأوربية: «فكتب».
(٣) في الأوربية: «تمس».
(٤) في الأوربية: «وقسراً هل عوّد».
(٥) الطبري ٧/٤٩: «توثقوا».
(٦) الطبري: «دون».

وخطب يوماً أسد فقال: قبّح اللّهُ هذه الوجوه، وجوه أهل الشقاق والنفاق والشغب والفساد! اللهمّ فرّق بيني وبينهم، وأخرجْني إلى مُهَاجَري ووطني.

فبلغ فِعلُه هشامَ بن عبد الملك، فكتب إلى خالد: أعزلْ أخاك، فعزله، فرجَع إلى العراق في رمضان سنة تسع ومائة، واستخلف على خُراسان الحَكَم بن عَوَانة الكلبيّ، فأقام الحكم صيفيّة فلم يغزُ[1]. ثمّ استعمل هشامٌ أشْرَسَ بن عبد الله السُّلَميّ على خُراسان، وأمره أن يكاتب خالداً. وكان أشرس فاضلاً خيّراً، وكانوا يسمّونه الكامل لفضله، فلمّا قدِم خُراسان فرِحوا به، واستقضى أبا المنازل الكِنْديّ، ثمّ عزله واستقضى محمّد بن زيد[2].

ذكر دُعاة بني العبّاس

قيل: أوّل من قدِم خُراسان من دُعاة بني العبّاس زياد أبو محمّد مولى همدان في ولاية أسد، بعثه محمّد بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس وقال له: انزل في اليمن وألطفْ مُضر[3]، ونهاه عن رجل من نَيْسابور يقال له غالب، لأنّه كان مفرِطاً في حبّ بني فاطمة[4]. ويقال: أوّل من أتى خُراسان بكتاب محمّد بن عليّ حَرْب بن عثمان مولى بني قيس بن ثعلبة[5] من أهل بلْخ، فلمّا قدِم زياد دعا إلى بني العبّاس، وذكر سيرة بني أميّة وظُلمهم، وأطعم الناسَ الطعام، وقدِم عليه غالب، وتناظرا في تفضيل آل عليّ وآل العباس، وافترقا؛ وأقام زياد بمَرْو شتوةً، و[كان] يختلف إليه من أهلها يحيى بن عَقيل الخُزاعيّ، وغيره.

فأُخبر به أسد، فدعاه وقال له: ما هذا الذي بلغني عنك؟ قال: الباطل، إنّما قدمتُ إلى تجارة وقد فرّقتُ مالي على الناس، فإذا اجتمع خرجتُ. فقال له أسد: أخرجْ عن بلادي. فانصرف فعاد إلى أمره، فرُفع أمره إلى أسد، وخُوّف من جانبه، فأحضره وقتله، وقتل معه عشرة من أهل الكوفة، ولم ينجُ منهم إلاّ غلامان استصغرهما. وقيل: بل أمر بزياد أن يُوَسَّط[6] بالسيف، فضربوه بالسيف فلم يعمل فيه، فكبّر الناسُ، فقال أسد: ما هذا؟ قيل: نبا السيفُ عنه، ثمّ ضرب أخرى فنبا السيفُ عنه، ثمّ ضربه الثالثة فقطعه

---

(١) الطبري ٤٧/٧ - ٤٩.

(٢) الطبري ٥١/٧، ٥٢، العيون والحدائق ٨٩/٣، ٩٠، البداية والنهاية ٢٥٩/٩.

(٣) الطبري: «والطف بمصر».

(٤) الطبري ٤٩/٦، تاريخ مختصر الدول ١١٧.

(٥) في (ب): «مقلد».

(٦) في الأوربية: «توسّط».

بـاثنتَيْن، وعرض البـراءة على أصحابـه، فمَنْ تبرّأ خلّى سبيله، فتبـرّأ اثنان فتُـركـا، وأبى البراءة ثمانية فقُتلوا.

فلمّا كان الغد أقبل أحدهما إلى أسد فقال: أسـألك أن تُلحِقني بـأصحابي، فقتله، وذلك قبل الأضحى بأربعة أيّام، ثمّ قدِم بعدهم رجل من أهل الكوفة يسمّى كثيراً، فنـزل على أبي النَّجْم، وكان يأتيه الّذين لقوا زياداً، فكان على ذلك سنة أو سنتَيْن، وكان أمّيّاً، فقدِم عليه خدّاش، واسمه عمارة غلب عليه خدّاش، فغلّب كثيراً على أمره[1].

وقيل في أمر الدُّعاة ما تقدّم.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة غز عبدُ الله بن عُقْبَة الفِهْريّ في البحر[2].

وغزا معاوية بن هشام أرض الروم، ففتح حصناً يقال له طيبة، فأُصيب معه قوم من أهل أنطاكية[3].

وفيها قُتل عمر بن يزيد الأسيدّيّ، قتله مالك بن المنذر بن الجارود، وسبب قتله أنّه أبلى في قتال يزيد بن المهلّب، فقال يزيد بن عبد الملك: هذا رجل العراق. فغاظ ذلك خالد بن عبد الله، وأمر مالك بن المنذر، وهو على شُرَط البصرة، أن يعظّمه ولا يعصي له أمراً، وأقبل يطلب[4] له عثرة يقتله بها، فذكر مالكُ بن المنذر عبدَ الأعلى بن عبد الله بن عامر، فافترى عليه، فقال عمر بن يزيد: لا تفترِ على مثل عبد الأعلى. فأغلظ له مالك، وضربه بالسياط حتّى قتله[5].

(الأُسيّديّ: بضمّ الهمزة، وتشديد الياء تحتها نقطتان).

وفيهـا غزا مَسْلمـة بن عبـد الملك التُّـرك من نـاحيـة أذْرَبَيْجـان، فغنِم وسبى وعـاد سالماً[6].

---

(١) الطبري ٧/٥٠، ٥١.

(٢) الطبري ٧/٤٦، نهاية الأرب ٢١/٤٠٦، تاريخ العظيمي ٢٠٥ وفيه: عبيد الله بن عقبة.

(٣) الطبري ٧/٤٩، تاريخ العظيمي ٥٠٢، نهاية الأرب ٢١/٤٠٦، وفي النجوم الزاهرة ١/٢٦٧ «الطينة». أمـا في تـاريخ خليفـة ٣٣٩: «وافتتح حصناً يقال لـه: الغطاسين. وانـظر: المنتخب من تاريـخ المنبجي ٩٠، وتاريخ الإسلام (١٠١ ـ ١٢٠ هـ). ص ١٩.

(٤) في الأوربية: «فيطلب».

(٥) الطبري ٧/٤٦.

(٦) تاريخ خليفة ٣٣٩، تاريخ اليعقوبي ٢/٣٢٩، تاريخ العظيمي ٢٠٥، نهاية الأرب ٢١/٤٠٧، تاريخ الإسلام (١٠١ ـ ١٢٠ هـ). ص ١٩.

وحجّ بالناس هذه السنة إبراهيم بن هشام[1]، فخطب الناس فقال: اسألوني فإنّكم لا تسألون أحداً أعلم منّي. فسأله رجلٌ من أهل العراق عن الأضحية: أَوَاجبةٌ هي؟ فما درى ما يقول، فنزل[2]، وكان هو العامل على المدينة ومكّة والطائف، وكان على البصرة والكوفة خالد بن عبد الله القَسْريّ، وكان قد استخلف على الصلاة بالبصرة أبان بن ضُبارة اليَزَنيّ[3]، وعلى الشُّرطة بها بلال بن أبي بُرْدَة، وعلى قضائها ثُمامة بن عبد الله بن أنس، وعلى خُراسان أشْرَس[4].

[الوَفَيَات]

وفي هذه السنة مات أبو مِجْلز لاحق بن حُمَيد البصريّ[5].

وفيها غزا بِشْرُ بن صفوان عامل إفريقية جزيرة صِقِلِّية، فغنم شيئاً كثيراً[6]، ثمّ رجع من غزاته إلى القيروان، وتوفّي بها من سنتها[7]، (فاستعمل هشامٌ بعده عبيدةَ بن عبد الرحمن بن أبي الأغرّ السُّلَميّ[8]، فعزل عبيدةُ يحيى بن سَلَمة الكلبيّ عن الأندلس، واستعمل حُذَيْفَةَ بن الأحْوص الأشجعيّ، فقدِم الأندلسَ في ربيع الأوّل سنة عشر ومائة، فبقي والياً عليها ستّة أشهر[9] ثمّ عُزل، ووليها عثمان بن أبي نِسْعة الخَثْعميَ[10]) [11].

---

(1) المحبّر ٢٩، تاريخ خليفة ٣٣٩، تاريخ اليعقوبي ٢/٣٢٨، الطبري ٧/٥٣، مروج الذهب ٤/٤٠٠، تاريخ العظيمي ٢٠٥، البداية والنهاية ٩/٢٥٩، النجوم الزاهرة ١/٢٦٧، نهاية الأرب ٢١/٤٣٦.

(2) الطبري ٧/٥٣، النجوم الزاهرة ١/٢٦٧.

(3) في طبعة صادر ٥/١٤٥: «صبارة اليثربي»، وهو وهم، والتصحيح من الطبري ٧/٥٣.

(4) الطبري ٧/٥٣.

(5) انظر عن (أبي مجلز لاحق) في: تاريخ الإسلام (١٠١ - ١٢٠ هـ). ص ٢٩٩ رقم ٣٠١ وفيه مصادر ترجمته.

(6) تاريخ خليفة ٣٣٩.

(7) تاريخ العظيمي ٢٠٥، المعرفة والتاريخ ٣/٣٤٦، تاريخ دمشق (دهمان) ١٠/٩٤.

(8) انظر عن (عبيدة بن عبد الرحمن) في: الحلّة السيراء ١/٦٤ - ٦٦. وهو في البيان المغرب ٢/٢٧: «عبيدة بن أبي الأعور السُلمي» و ٢/٢٨ «عبيدة بن عبد الرحمن بن أبي الأعور السلمي».

(9) البيان المغرب ٢/٢٧.

(10) البيان المغرب ٢/٢٨.

(11) ما بين القوسين من (ب).

١١٠
ثم دخلت سنة عشرٍ ومائة

ذكر ما جرى لأشْرس مع أهل سمرقند وغيرها

في هذه السنة أرسل أَشْرس إلى أهل سمرقند وما وراء النهر يدعوهم إلى الإسلام، على أنْ توضع عنهم الجِزيةُ، وأرسل في ذلك أبـا الصَّيداء (صـالح بن طـريف مولى بني ضبّة، والربيع بن عِمران التَّميميّ. فقال أبو الصَّيداء)[1]: إنّما أخـرج على شريطة أنّ مَنْ أسلم لا تؤخـذ منه الجِـزية، وإنّمـا خراج خُـراسان على رؤوس الـرجال. فقـال أشرس: نعم. فقـال أبو الصيـداء لأصحابـه: فإنّي أخـرج، فإنْ لم يفِ العمّـالُ أعنتموني عليهم؟ قالوا: نعم. فشخص إلى سَمَرْقَنْد وعليها الحسنُ بن أبي العَمَرّطة[2] الكِنْديّ على حـربها وخراجها، فدعا أبو الصيداء أهل سمرقند ومَنْ حولها إلى الإسلام، على أن تـوضع عنهم الجِزيةُ، فسارع الناسُ، فكتب غوزك[3] إلى أشرس أنّ الخراج قد انكسـر. فكتب أشرس إلى ابن [أبي] العَمَرّطة: إنّ في الخراج قوّةً للمسلمين، وقد بلغني أنّ أهل الصُّغْد وأشباههم لم يُسْلموا رغبةً، إنّما أسلموا تَعَوُّذاً من الجزية، فانـظرْ من اختتن وأقام الفـرائض وقرأ سـورة من القرآن، فارفع خراجه.

ثمّ عزل أشرسُ ابنَ [أبي] العمرّطة عن الخراج، وصيّره إلى هانىء بن هانىء، فمنعهم أبو الصيداء من أخْذ الجزية ممّنْ أسلم، فكتب هانىء إلى أشرس: إنّ الناس قـد أسلموا وبنوا المساجد. فكتب أشرس إليه وإلى العمّال: خذوا الخراج ممّنْ كنتم تـأخذونـه منه. فأعادوا الجِزيةَ على مَنْ أسلم. فـامتنعوا واعتـزلوا في سبعـة آلاف، على عدّة فـراسخ من سمرقند، وخرج إليهم أبو الصيـداء، وربيع بن عمـران التميميّ، والهَيْثم الشيبانيّ، وأبـو فاطمة الأزديّ، وعامر بن قُشَير[4]، وبَحِير[5] الخُجَنْديّ، وبنان[6] العَنْبريّ، وإسماعيل بن

---

(١) ما بين القوسين من (ر).

(٢) في طبعة صادر ١٤٧/٥: «الحسن بن العمرطة» والتحرير من الطبري ٥٥/٧.

(٣) تحرّف في الأصل: «غورك».

(٤) في الأوربية: «قُشيراء».

(٥) في (ر): «بشير»: وفي تاريخ الطبري ٥٥/٧: «وعامر بن قشير ـ أو بشير الخجندي».

(٦) الطبري: «وبيان».

عُقْبة لينصروهم، فعزل أشرسُ ابن [أبي] العَمَرّطة عن الحرب، واستعمل مكانه المجشّر بن مزاحم السُّلَميّ على الحرب، وضمّ إليه عُمَيرة بن سعد الشيبانيّ.

فلمّا قدِم المجشّرُ كتب إلى أبي الصيداء يسأله أن يُقْدَم عليه هو وأصحابه، فقدِم أبو الصيداء وثابت قُطْنَة، فحبسهما، فقال أبو الصيداء: غدرتم ورجعتم عمّا قلتم. فقال هانىء: ليس بغدر ما كان فيه حقْن الدّماء؛ ثمّ سيّروه إلى أشرس، واجتمع أصحابه وولّوا أمرهم أبا فاطمة ليقاتلوا هانئاً، فقال لهم: كفّوا حتّى نكتب إلى أشرس، فكتبوا إليه، فكتب أشرس: ضعوا عليهم[1] الخراج، فرجع أصحاب أبي الصَّيداء وضعُف أمرهم، فتُتُبِّعَ[2] الرؤساء، فأخذوا وحُملوا إلى مَرْو، وبقي ثابت محبوساً، فألحّ هانىء في الخراج، واستخفّوا بعظماء العجم والدَّهاقين، وأقيموا وخُرّقت[3] ثيابهم، وألقيت مناطقهم في أعناقهم، وأخذوا الجزية ممّنْ أسلم [من الضُّعفاء]، فكفرت الصُّغْدُ وبُخارى، واستجاشوا التّرك.

ولم يزل ثابت قُطْنة في حبس المجشّر حتّى قدِم نصر بن سَيّار إلى المجشّر والياً، فحمله إلى أشرس فحبسه، وكان نصر قد أحسن إليه؛ فقال ثابت يمدحه [بأبيات] يقول فيها:

ما هاجَ شوقَك من نؤيٍ وأحجارِ ... ومن رسومٍ عفاها صَوبُ أمطارِ[4]

إن كان ظنّي بنصرٍ صادقاً أبداً ... فيما أُدبِّرُ من نقْضي وإمراري

لا[5] يصرف الجندَ حتّى يستفيءَ بهم ... نَهْباً عظيماً ويَحْوي مُلك جبّارِ

إنّي وإنْ كنتُ من جَذْم الّذي نَضُرتْ[6] ... منهُ الفُروعُ وزَندي الثّاقبُ الواري

لَذاكِرٌ مِنكَ أمراً قد سبَقْتَ به ... مَنْ كان قبلَك يا نَصرُ بن سَيّارِ

ناضَلْتَ عنّي نِضالَ الحُرّ[7] إذ قَصُرَتْ ... دوني العشيرةُ واستبطأتُ أنصاري

وصار كلُّ صديقٍ كنتُ آمُلُهُ ... ألباً عليّ وَرَثَّ الحَبْلُ من جاري

وما تَلَبَّسْتُ بالأمر الّذي وقعوا ... به عليّ ولا دنَّسْتُ أطماري

---

(١) في الأوربية: «عنهم».

(٢) في الأوربية: «فتبع».

(٣) في الأوربية: «وتخرّقت».

(٤) في (ر): «أمطاري».

(٥) «لا» ليست في تاريخ الطبري ٧/٥٦.

(٦) في الأوربية: «نظرت».

(٧) في الأوربية: «الجر».

ولا عَصَيْتُ إماماً كان طاعتُهُ حقّاً عليّ ولا قارفتُ من عارِ

وخرج أشْرس غازياً، فنزل آمُل، فأقام ثلاثة أشهر. وقدَّم قَطَنَ بن قُتَيْبة بن مسلم، فعبر النهر في عشرة آلاف، فأقبل أهل الصُّغْد وبُخَارى معهم خاقان والتُّرك، فحصروا قَطَناً في خندقه، فأرسل خاقان مَنْ أغار على مسرح الناس، فأخرج أشرسُ ثابتَ قُطْنة بكفالة عبد الله بن بِسطام بن مسعود بن عَمْرو، فوجَّهه مع عبد الله بن بِسطام في خيل، فقاتلوا الترك بآمل حتّى استنقذوا ما بأيديهم، ورجع التّرك.

ثمّ عبر أشرس بالناس إلى قَطَن، وبعث أشرس سريّة مع مسعود أحد بني حيّان، فلقِيهم العدوّ (فقاتلوهم، فقُتل رجال من المسلمين، وهُزم مسعود فرجع إلى أشرس)[1]، وأقبل العدوّ، فلقيهم المسلمون، فجالوا جولة فقُتل رجال من المسلمين، ثمّ رجع المسلمون وصبروا فانهزم المشركون، وسار أشرس بالنّاس حتّى نزل بِيكند، فقطع العدوّ عنهم الماءَ، وأقام المسلمون يوماً وليلةً وعطشوا، فرحلوا إلى المدينة الّتي قطع العدوّ [المياه] منها[2]، وعلى المقدّمة قَطَن بن قتيبة، فلقيهم العدوّ فقاتلوهم، فجُهدوا من العطش، فمات منهم سبعمائة، (فعجز الناسُ عن القتال)[3]، فحرّض الحارث بن سُرَيْج الناسَ فقال: القتل بالسيف أكرم في الدنيا وأعظم أجراً عند الله من الموت عطشاً. وتقدّم الحارثُ وقطن في فوارس من تميم، فقاتلوا حتّى أزالوا التركَ عن الماء، فابتدره الناسُ فشربوا واستقوا.

ثمّ مرّ ثابت قطنة بعبد الملك بن دِثار الباهليّ فقال: هل لك في الجهاد؟ فقال: أمهِلني حتّى أغتسل وأتحنّط. فوقف له حتّى اغتسل ثمّ مضيا. وقال ثابت لأصحابه: أنا أعلم بقتال هؤلاء منكم؛ وحرّضهم، فحملوا، واشتدّ القتالُ، فقال ثابت قطنة: اللهمّ إنّي كنتُ ضيف ابن بِسطام البارحة، فاجعلْني ضيفك الليلةَ، والله لا ينظر إليّ بنو أميّة مشدوداً في الحديد. فحمل وحمل أصحابه، فرجع أصحابه وثبت هو، فرُمي بِرْذَوْنه فشبّ، وضربه فأقدم[4]، وضُرب ثابت فارتُثّ، فقال وهو صريع: اللهمّ إنّي أصبحتُ ضيفاً لابن بِسطام، وأمسيتُ ضيفك! فاجعلْ قِراي[5] منك الجنّة! فقتلوه وقتلوا معه عدّة من المسلمين، منهم: صخر بن مسلم بن النعمان العبديّ، وعبد الملك بن دِثار الباهليّ، وغيرهما، وجمع قَطَن، وإسحاق بن محمّد بن حبّان خيلاً من المسلمين تبايعوا

---

(١) ما بين القوسين من (ر).

(٢) في الأوربية: «بها».

(٣) من (ب).

(٤) في الأوربية: «فما قدم».

(٥) في الأوربية: «قرائي».

على الموت، فحملوا على العدوّ، فقاتلوهم فكشفوهم، وركبهم المسلمون يقتلونهم حتّى حجزهم الليلُ، وتفرّق العدوّ، وأتى أشرس بُخارى فحصر أهلها[1].

(الحارث بن سُرَيْج: بالسين المهملة والجيم).

ذكر وقعة كَمَرْجه

ثمّ إن خاقان حصر كَمَرْجة، وهي من أعظم بلدان خُراسان، وبها جمع من المسلمين، ومع خاقان أهل فَرْغانة وأفْشينة ونَسَف وطوائف من أهل بُخارى، فأغلق المسلمون الباب، وقطعوا القنطرة التي على الخندق. فأتاهم ابن خسْرو بن يزدجرد فقال: يا معشر العرب لِمَ تقتلون أنفسكم؟ أنا الذي جئْتُ بخاقان ليردّ عليّ مملكتي، وأنا آخذ لكم الأمان. فشتموه. وأتاهم بازغرى[2] في مائتَيْن، وكان داهية، وكان خاقان لا يخالفه، فدنا من المسلمين بأمان وقال: لينزلْ إليّ رجل منكم أكلّمه بما أرسلني به خاقان. فأحدروا يزيد بن سعيد الباهليّ، وكان يفهم بالتركيّة يسيراً، فقال له: إنّ خاقان أرسلني، وهو يقول إنّي أجعل مَنْ عطاؤه منكم ستّمائة ألفاً، ومَنْ عطاؤه ثلاثمائة ستّمائة، وهو يُحْسن إليكم. فقال [له] يزيد: كيف تكون العرب وهم ذئاب مع الترك وهم شاء! لا يكون بيننا وبينهم صلح. فغضب بازغرى، وكان معه تركيّان، فقال: ألا تضرب عنقه؟ فقال: إنّه نزل بأمان. وفهم يزيد ما قالا، فخاف فقال: بلى إنّما تجعلوننا[3] نصفين، فيكون نصفنا مع أثقالنا، ويسير النصف معكم، فإن ظفرتم فنحن معكم، وإن كان غير ذلك كنّا كسائر مدائن الصُّغْد. فرضوا بذلك، وقال: أعرض على أصحابي هذا. وصعد في الحبل، فلمّا صار على السور نادى: يا أهل كَمَرْجه اجتمعوا، فقد جاءكم قوم يدعونكم إلى الكفر بعد الإيمان، فما ترون؟ قالوا: لا نجيب ولا نرضى. قال: يدعونكم إلى قتال المسلمين مع المشركين. قالوا: نموت قبل ذلك. فرُدّ بازغرى.

ثمّ أمر خاقان بقطع الخندق، فجعلوا يُلْقون الحطبَ الرطب، ويُلقي المسلمون الحطب اليابس، حتّى سُوّي الخندق، فأشعلوا فيه النيران، وهاجت ريح شديدة صنعاً من الله، فاحترق الحطب، وكانوا جمعوه في سبعة أيّام، في ساعة واحدة.

ثمّ فرّق خاقان على الترك أغناماً، وأمرهم أن يأكلوا لحمها، ويحشوا جلودها تراباً، ويكبسوا خندقها، ففعلوا ذلك، فأرسل الله سحابة فمُطرت مطراً شديداً، فاحتمل السيلُ ما في الخندق، وألقاه في النهر الأعظم. ورماهم المسلمون بالسهام، فأصابت بازغرى

---

(١) الطبري ٧/٥٤ ـ ٥٩، نهاية الأرب ٢١/٤٠٧ ـ ٤١٠، وانظر: فتوح البلدان ٥٢٦.

(٢) في (ر): «بازعروى»، و(ب): «بار غروى».

(٣) في الأوربية: «تجعلوا».

نشّابةٌ في سُرّته، فمات من ليلته، فدخل عليهم بموته أمر عظيم. فلمّا امتدّ النهار جاؤوا بالأسرى التي عندهم، وهم مائة، فيهم أبو العَوْجاء العَتَكيّ، والحَجّاج بن حُمَيْد النضريّ، فقتلوهم ورموا برأس الحجّاج، وكان عند المسلمين مائتان من أولاد المشركين رهائن، فقتلوهم واستماتوا، واشتدّ القتال.

ولم يزل أهل كمَرْجه كذلك حتّى أقبلت جنود العرب فنزلت فرغانة، فعيّر خاقان أهل الصُّغد، وفرغانة، والشاش، والدَّهاقين وقال: زعمتم أنّ في هذه خمسين حماراً، وأنّا نفتحها في خمسة أيّام، فصارت الخمسة شهرَيْن. وأمرهم بالرحيل وشتمهم، فقالوا: ما ندَع جهداً، فأحضِرْنا غداً، وانظرْ ما نصنع. فلمّا كان الغد وقف خاقان، وتقدّم ملك الطّارَبَنْد[1] فقاتل المسلمين، فقتل منهم ثمانية، وجاء حتّى وقف على ثُلْمة إلى جنْب بيتٍ فيه مريض من تميم، فرماه التميميّ بكَلُّوب، فتعلقّ بدرعه، ثمّ نادى النساء والصبيان، فجذبوه فسقط لوجهه، ورماه رجل بحجر، فأصاب أصل أُذْنه فصُرع، وطعنه آخر فقتله، فاشتدّ قتله على الترك.

وأرسل خاقان إلى المسلمين: إنّه ليس من رأينا أن نرتحل عن مدينة نحاصرها دون افتتاحها، أو ترحّلهم[2] عنها. فقالوا له: ليس من ديننا أن نعطي بأيدينا حتّى نُقْتَل، فاصنعوا ما بدا لكم. فأعطاهم التركُ الأمان أن يرحل خاقان عنهم ويرحلوا هم (عنها إلى سمرقند أو الدَّبُوسِيَة، فرأى أهلُ كمَرْجة ما هم فيه من الحصار، فأجابوا إلى ذلك، فأخذوا من الترك رهائن أن لا يعرضوا لهم، وطلبوا أنّ كورصُول التركيّ يكون معهم في جماعة)[3]، ليمنعهم إلى الدبوسية، فسلّموا إليهم الرهائنَ، وأخذوا أيضاً هم من المسلمين رهائن، وارتحل خاقان عنهم، ثمّ رحلوا هم بعده، فقال الأتراك الذين مع كورصول: إنّ بالدبوسية عشرة آلاف مقاتل، ولا نأمن أن يخرجوا علينا. فقال لهم المسلمون: إن قاتلوكم قاتلناهم معكم.

فساروا، فلمّا صار بينهم وبين الدبوسية فرسخ نظر أهلها إلى الفرسان، فظنّوا أنّ كمرجه فُتحت، وأنّ خاقان قد قصدهم، فتأهّبوا للحرب، فأرسل المسلمون إليهم يُخْبِرونهم خبرهم، فالتقوهم وحملوا مَنْ كان يضعف عن المشي ومَنْ كان مجروحاً. فلمّا بلغ المسلمون الدبوسية أرسلوا إلى مَنْ عنده الرهائن يُعْلمونه بوصولهم، ويأمرونه بإطلاقهم، فجعلت العرب تُطْلق رجلاً من الرهن، والترك رجلاً، حتّى بقي سِباع بن

(١) في الأوربية: «الطّارَبَنْدة».

(٢) في الأوربية: «فترحلّتم».

(٣) ما بين القوسين من (ر).

النُّعمان مع الترك، ورجل من الترك عند العرب، وجعل كلّ فريق يخاف من صاحبه الغدر، فقال سباع: خلّوا رهينة الترك، فخلّوه، وبقي سِباع مع الترك، فقال له كورصول: (ما حملك على هذا؟ قال: وثقتُ بك، وقلتُ: ترفع نفسك عن الغدر، فوصله كورصول)[1] وأعطاه سلاحه وبِرْذَوناً وأطلقه.

وكانت مدّة حصار كَمَرْجَه ثمانية وخمسين يوماً، فيقال: إنّهم لم يسقوا إبِلَهم خمسة وثلاثين يوماً[2].

ذكر رِدّة أهل كُرْدَر

في هذه السنة ارتد أهل كُرْدَر، فأرسل إليهم أشْرس جُنداً، فظفروا بهم؛ فقال عَرْفجة:

ونحن كَفَينا أهلَ مَرْو وغيرَهُمْ ... ونحن نَفَينا التُّرْكَ عن أهل كُرْدَرِ

فإنْ جعلوا ما قد غنِمْنا لغيرنا ... فقد يُظلَمُ المرءُ الكريمُ فيصبر[3]

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة جمع خالد القَسْري الصلاة والأحداث والشُّرَط والقضاء بالبصرة لبلال بن أبي بُرْدة[4]، وعزل ثُمامة عن القضاء.

وفيها غزا مَسْلمةُ الترك من باب اللاّن، فلقي خاقان في جموعه، فاقتتلوا قريباً من شهر، وأصابهم مطر شديد، فانهزم خاقان وانصرف، ورجع مَسْلمة فسلك على مسلك ذي القرنَيْن[5].

وفيها غزا معاوية الروم ففتح صملة[6].

---

(١) ما بين القوسين من (ب).

(٢) الطبري ٧/٦٠ ـ ٦٥، نهاية الأرب ٢١/٤١٠ ـ ٤١٢.

(٣) الطبري ٧/٦٦، نهاية الأرب ٢١/٤١٢.

(٤) في طبعة صادر ٥/١٥٥ «بكرة» وهو وهْم. والتصويب من الطبري ٧/٦٦.

(٥) تاريخ خليفة ٣٣٩، ٣٤٠، تاريخ اليعقوبي ٢/٣٢٩، تاريخ الطبري ٧/٥٤ وفيه: فسلك على مسجد ذي القرنين، المنتخب من تاريخ المنبجي ٩٠، تاريخ العظيمي ٢٠٥، نهاية الأرب ٢١/٤١٢، تاريخ الإسلام (١٠١ ـ ١٢٠ هـ). ص ٢٠، البداية والنهاية ٩/٢٥٩، النجوم الزاهرة ١/٢٦٧.

(٦) في نسخة بودليان «صمل»، وفي تاريخ الطبري ٧/٥٤ «صَمالة» تاريخ خليفة ٣٤٠، نهاية الأرب ٢١، ٤١٢ وفيه: «صَلم»، تاريخ الإسلام (١٠١ ـ ١٢٠ هـ). ص ٢١، البداية والنهاية ٩/٢٦٠، النجوم الزاهرة ١/٢٦٧.

وفيها غزا الصائفةَ عبدُ الله بن عُقْبَة الفِهْري، وكان على جيش البحر عبد الرحمن بن معاوية بن حُدَيْج[1]، (بضمّ الحاء وفتح الدال المهملتَيْن).

وحجّ بالناس إبراهيم بن إسماعيل[2]. فكان العمّال على البلاد هذه السنة مَنْ تقدّم ذكرهم في السنة التي قبلها[3].

[الوَفَيات]

وفيها مات الحسن البصريّ[4] وله سبْعٌ وثمانون سنة.

ومحمّد بن سِيرين[5]، وهو ابن إحدى وثمانين سنة.

وفيها، أعني سنة عشر ومائة، مات الفرزدق الشاعر[6]، وله إحدى وتسعون سنة.

وجرير [بن] الخَطَفى الشاعر[7].

---

(١) الطبري ٧/٥٤، تاريخ العظيمي ٢٠٥، نهاية الأرب ٢١/٤١٢.

(٢) المحبّر ٢٩، تاريخ خليفة ٣٤٠، تاريخ اليعقوبي ٢/٣٢٨، تاريخ الطبري ٧/٦٦، مروج الذهب ٤/٤٠٠، تاريخ العظيمي ٢٠٥، البداية والنهاية ٩/٢٦٠، نهاية الأرب ٢١/٤٣٦.

(٣) الطبري ٧/٦٦.

(٤) انظر عن (الحسن البصري) في: تاريخ الإسلام (١٠١ - ١٢٠ هـ). ص ٤٨ - ٦٣ رقم ٣٤ وفيه مصادر ترجمته.

(٥) انظر عن (محمد بن سيرين) في: تاريخ الإسلام (١٠١ - ١٢٠ هـ). ص ٢٣٩ - ٢٤٩ رقم ٢٢٥ وفيه مصادر ترجمته.

(٦) انظر عن (الفرزدق) في: تاريخ الإسلام (١٠١ - ١٢٠ هـ). ص ٢١١ - ٢١٥ رقم ٢٠٧ وفيه مصادر ترجمته.

(٧) انظر عن (جرير) في: تاريخ الإسلام (١٠١ - ١٢٠ هـ). ص ٤٠ - ٤٣ رقم ٢٥ وفيه مصادر ترجمته.